المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ — الموافق ٧ صفر سنة ١٣٢

الاستاذ لنغلي

Prof. S. P. Langley.

كان الاوربيون يعيرون الاميركيين بانهم ينقلون العلوم و ينشرونها ولكنهم لا يبحثون فيها بحثًا مبتكرًا الى ان قام الاستاذ لنغلي واضرابهُ فنفوا هذه التهمة عن الاميركيين بما اتوهُ من الابحاث المبتكرة فوق ما اتوهُ من نشر المعارف وتعميمها

ولقد كان من علماء الفلك الذين يشار اليهم بالبنان وله مباحث جليلة في الشمس والسبكترسكوب ولا تزال رسومهُ للشمس التي رسمها منذ اربعين سنة اصح الرسوم التي رسمت لها وادقها . وآراؤهُ في بناء الشمس لا تزال مرعية حتى الآن . وهو مخترع البولومتر ادق مقاييس الحرارة و بهِ بحث مباحث دقيقة عن حرارة الشمس وامتصاص الهواء لها وعن الاشعة التي تحت الطيف الاحمر ولم يكن وجودها معروفًا

وكان ايضاً من علماء الطبيعة وقد اهتم بحركات الهواء الداخلية واستنبط آلة للطيران بناها علي ما اثبتهُ من وجود هذه الحركات . وبحث في الطيران مباحث جمة وحلَّ كثيرًا من غوامضهِ لكنَّ آلتهُ لم تستعمل حتى الآن ولا هو رأى فيها انها تحلُّ مسألة الطيران و يصير السير بها ممكنًا في الهواء كالسير بالبواخر علي سطح الماء

اما اشتغالهُ الاكبر فكان في ادارة دار العلم السمثسونية اي ادارة الاموال الطائلة التي وهبها المستر سمثسون لينفق ريعها على المباحث العلمية وعلى نشر العلوم والفنون بالكتب العلمية التي تطبعها سنويًا وتوزعها على المكاتب العمومية لافادة الجمهور. وقد قام بهذا المنصب احسن قيام ولهُ فضل لا ينكر على مكتبة المقتطف وقرَّائهِ . وقد بقي باذلاً جهد المستطيع في خدمة هذه الدار وتعميم نفعها مدة عشرين سنة الى ان وافتهُ المنية الآن وعمرهُ اثنتان وسبعون سنة

ولد في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٣٤ ودرس في مدرسة هارڤرد الكلية وكان يميل الى الدروس الفلكية والميكانيكيَّة وظهر فيهِ هذا الميل في مباحثهِ الفلكية والهوائية ٠ ويقال انهُ علق علم الفلك وعمرهُ عشر سنوات وكان وهو في ذلك السن يصنع تلسكوبات صغيرة يرصد بها الافلاك بعد ان قرأ كتباً بسيطة في علم الفلك . وكان غرضهُ ان يصير مهندساً فدرس العلوم الرياضية والهندسيَّة ٠ ثم اضطرَّ ان يترك الهندسة ويتعلَّم صناعة البناء او رسوم المباني فكان ذلك اساساً لما اشتهر بهِ بعدئذٍ من الرسوم الفلكيَّة

وجاء اوربا سنة ١٨٦٤ وعاد الى اميركا سنة ١٨٦٥ وقد عقد النية على اتباع ميلهِ الطبيعي فعاد الى مدرسة هارڤرد وانتقل منها الى مدرسة انابوليس البحرية استاذاً للعلوم الرياضية وكان في تلك المدرسة مرصد صغير فأُعطي ادارتهُ . ثم دعي ليكون استاذاً لعلم الفلك في مدرسة بنسلڤانيا الجامعة وكان مرصدها في حالة يرثى لها وهو مرصد أَلِغني الذي اشتهر بعدئذٍ بالتوقيت والفضل في ذلك للاستاذ لنغلي الذي جعل التوقيت من اخص اعمال ذلك المرصد فاستفاد منهُ التجار واصحاب سكك الحديد وخطوط التلغراف

ودعي لرصد الكسوفين التامين اللذين وقعا سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٠ فعين في الكسوف الاول طول مدتهِ وفي الثاني استقطاب الاكليل الشمسي

وكان التوقيت الذي اشرنا اليهِ آنفاً قد عاد على المرصد بشيءٍ من المال فانفق هذا المال على مشترى الآلات والاجهزة الفلكية وجعل يدرس قرص الشمس وكان من امهر الناس في دقة الرصد فرسم كلف الشمس رسوماً لا تزال اصح ما رسم حتى الآن ومنها الرسم الذي لا يخلو منهُ كتاب فلكي وقد نقلناهُ عنهُ في المجلد الثامن والعشرين واعدنا نقلهُ هنا مع صورتهِ

ونشر اول مقالة عن الشمس سنة ١٨٧٤ وهي مثال لما نشرهُ بعدئذٍ من المقالات التي تحيط بالموضوع من كل اطرافهِ وتستوفي كل ما يقال فيهِ بعبارة موجزة ٠ وشرع حينئذٍ في درس حرارة الشمس وتوزعها واحوال جوها وعلاقة كلف الشمس بحرارة الارض ووجد انهُ اذا كانت الكلف على اكثرها كانت حرارة الارض على اقلها واذا كانت الكلف على اقلها كانت حرارة الارض على اكثرها لكن الفرق في الحرارتين طفيف جدًّا لا يعتدُّ بهِ ٠ وكان يستعمل المقياس المعروف برصيف الحرارة في قياس حرارة الشمس وما يحدث فيها من التغيرات الطفيفة وهو على دقتهِ لم يفِ بغرضهِ فاستنبط البولومتر وهو ادق مقاييس الحرارة المعروفة يدل على اختلاف الحرارة ولو كان هذا الاختلاف جزءًا من مئة الف جزءٍ من الدرجة بميزان سنتغراد

وبقي مديرًا لمرصد أَلِغني الى سنة ١٨٨٧ حين جُعل سكرتيرًا او مديرًا لدار العلم السمثسونية . ولهُ مؤلفات كثيرة منها كتابة في الفلك الجديد ومقالات علمية تعدُّ بالمئات وهي في المواضيع الفلكية والطبيعية وكانت وفاتهُ في ٢٧ فبراير الماضي

* * *

مستقبل اوربا

للورد اڤبري المشهور عند قرّاء المقتطف باسم السر جون لبك كتب كثيرة علمية وادبية ومباحث جمة في طبائع الحيوانات واصل المعتقدات وتاريخ التمدن والاخلاق ونحو ذلك من المباحث العلمية . وهو ليس استاذ مدرسة كلية ولا من المنقطعين للمباحث العلمية المحضة بل رجل مالي مدير بنك كبير . وقد كتب الآن مقالة وجيزة في مستقبل اوربا ابان فيها بالادلة القاطعة انها اذا بقيت على ما هي عليهِ من القطيعة التجارية والمناظرة السياسية سبقتها الولايات المتحدة الاميركية في مضمار العمران والثروة

قال ان سير العمران من الشرق الى الغرب . هذا اذا استثنينا الهند والصين واليابان . فابتدأ في اشور وبابل ومصر وانتقل الى اسيا الصغرى واليونان وايطاليا وفرنسا والمانيا وانكلترا . وجرت المدن التجارية الكبرى على هذا النسق فنشأت بابل اولاً ثم صور وصيداء فسرديس فازمير فاثينا فالبندقية فجنوى فلندن

وفي القرن الماضي نشأت بلاد عظيمة جدًّا وهي الولايات المتحدة الاميركية . فهل ينتقل العمران اليها من انكلترا وفرنسا والمانيا فتخلف ممالك اوربا المفترقة ويصير لها العزَّة والصولة في التجارة والثروة كما خلفت اوربا اسيا

ان مساحة الولايات المتحدة الاميركية ٣٥٥٠٠٠٠ ميل مربع ومساحة اوربا كلها نحو ٣٨٠٠٠٠٠ ميل مربع فهما متماثلتان من حيث المساحة ولكنهما غير متماثلتين في عدد السكان ولا يزال جانب كبير من الولايات المتحدة الاميركية بكرًا لم يستخرج شيءٌ من خيراتهِ . وعدد السكان في اوربا الآن نحو اربعة امثال عددهم في الولايات المتحدة ولكن لا بدَّ ما يأتي وقت يصير فيهِ عدد سكان الولايات المتحدة مثل عدد السكان في اوربا او اكثر ولذلك فالنمو في الولايات المتحدة في عدد السكان وفي التجارة الداخلية والخارجية يجب ان يزيد على النمو في اوربا . وهذا لا يضرُّ باوربا وسكانها وانما يضرهم ما هم فيهِ من التقاطع والتباغض والتحفز الدائم للحرب كأنهم في دار حرب لا في دار امان

فاولاً ان الولايات المتحدة الاميركية حمت تجارتها من مناظرة التجارة الاوربية لها ولكنها جعلتها حرَّة بين ولاياتها المختلفة فتتبادل بضائعها من حاصلات ومصنوعات من غير رسم ولا قيد مطلقاً . واما ممالك اوربا المختلفة فاكثرها تقاطع ولجأً الى وضع الرسوم الجمركية الباهظة كما ترى بين فرنسا وسويسرا وبين المانيا وروسيا وبين فرنسا وايطاليا حتى كأنها في حرب دائمة وكانت نتيجة ذلك ضرراً محضاً على هذه البلدان كما ثبت بالاحصاء والاستقراء. وان لم تقلع عنهُ في القريب العاجل اودى بحياتها التجارية والمالية

هذا هو الامر الذي تئن منهُ ممالك اوربا ويخشى عليها من نتائجهِ . والامر الثاني اشد وطأةً واعظم شرًّا وهو النفقات الحربية الباهظة التي تنفقها ممالك اوربا والاستعداد المستمر للحرب فيها . فالولايات المتحدة الاميركية لا يزيد عدد جنودها البرية والبحرية على نحو مئة وسبعة آلاف نفس ولا تزيد نفقاتها السنوية على ٤٠ مليونًا من الجنيهات واما ممالك اوربا فعدد جنودها البرية والبحرية في زمن السلم اربعة ملايين من النفوس ونفقاتها السنوية ٣٥٠ مليونًا اي ان سكان اوربا نحو اربعة امثال السكان في الولايات المتحدة الاميركية ولكن جنود اوربا يزيدون على جنود اميركا اربعين ضعفاً ويرى ذلك واضحًا في هذا الجدول

اسم البلاد	عدد الجنود	نفقاتهم السنوية
الولاياث المتحدة الامركية	١٠٧٠٠٠	٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠
انكلترا	٤٢٠ ٠٠٠	٦٥ ٠٠٠ ٠٠٠
روسيا	١ ١٥٠ ٠٠٠	٤٦ ٥٠٠ ٠٠٠
المانيا	٦٦١ ٠٠٠	٤٣ ٨٠٠ ٠٠٠
فرنسا	٦٢٠ ٠٠٠	٤١ ٠٠٠ ٠٠٠
النمسا والمجر	٣٨٤ ٠٠٠	١٩ ٤٠٠ ٠٠٠
ايطاليا	٣٠٥٩٠٠	١٧ ٠٠٠ ٠٠٠
اسبانيا	١٠٠ ٠٠٠	٦٥٠٠ ٠٠٠
اسوج ونروج	٧٣ ٠٠٠	٥ ٥٠٠ ٠٠٠
تركيا	٣٧٠ ٠٠٠	٤ ٨٠٠ ٠٠٠
هولندا	٣٥ ٠٠٠	٣ ٦٥٠ ٠٠٠
البرتغال	٣٤ ٠٠٠	٢ ٦٠٠ ٠٠٠
سويسرا	١٤٨ ٠٠٠	١ ٣٠٠ ٠٠٠

اليونان	٢٣ ٠٠٠	١ ٢٠٠ ٠٠٠
الدنمارك	١٤ ٠٠٠	١ ٢٠٠ ٠٠٠
بلجكا	٤٣ ٠٠٠	١ ٠٠٠ ٠٠٠

واذا حسبنا الرديف والمستحفظ وكل الجنود الذين يقضون جانباً من وقتهم كل سنة في التمرُّن الحربي بلغ عدد جنود اوربا عشرين مليوناً من النفوس

فالى الغرب من الاوقيانوس الاتلنتيكي ولايات اميركا المتحدة المتعاضدة في كل امر الساعية معاً سعياً حثيثاً في ما يرقيها و يعززها . والى الشرق ممالك اوربا المنفصلة المتغاضبة المتباعدة التي كل مملكة منها واقفة لغيرها بالمرصاد تتحيَّن الفرص لاذلالها وتعدُّ المعدَّات للفتك بها

حب الوطن امر شريف لا ينكر ولكن محبة الخير العام والسعي في مصلحة نوع الانسان امر شريف ايضاً وفائدتهُ اكبر واعمُّ من فائدة حب الوطن

ثم استطرد الكاتب بعد هذا الكلام العام الى كلام خاص بالبلاد الانكليزية رداً على الذين يقولون ان المانيا تقوي بحريتها استعداداً لمحاربة انكلترا وان انكلترا تقصد الشر لالمانيا وهي تستعد لمحاربتها فقال ان ذلك كلهُ تخرُّص واوهام ملفقة ولاسيما اذا قيل ان المانيا هي التي تقصد العداء باستعدادها البحري المتزايد لان هذا الاستعداد اقل من استعداد انكلترا بكثير فقد كانت ميزانية البحرية الانكليزية ١٧ ٥٤٥ ٠٠٠ جنيه فصارت ٣٦ ٨٣٠ ٠٠٠ جنيه اي انها زيدت ١٩٢٨٥ ٠٠٠ من الجنيهات واما ميزانية البحرية الالمانية فزيدت ٧٥٠٠٠٠٠ اذا بلغت اقصى ما يراد ابلاغها اليهِ وحينئذٍ تصير ١٢٦٠٠ ٠٠٠ جنيه

وقد وازن المستر شولفقر بين قوات انكلترا وفرنسا والمانيا البحرية فكانت الموازنة هكذا

	انكليزية	فرنسوية	المانية
بوارج مدرعة	٧٦٩٩٠٠ ظن	٢٤٩٥٠٠ طن	٢٣٠٠٠٠ طن
طرادات مدرعة	٢٨٠٦٠٠ ″	١٤٨١٠٠ ″	٠٥٥٧٠٠ ″
والجملة	١٠٥٠٥٠٠ ″	٣٩٧٦٠٠ ″	٢٨٥٧٠٠ ″

فقوة انكلترا البحرية اعظم جداً من مجموع قوتي فرنسا والمانيا . واذا حسبنا ما قرَّ القرار على بنائهِ من البوارج والطرادات في هذه الممالك الثلاث واضفناهُ الى ما فيها الآن صارت قواتها البحرية على ما في هذا الجدول

	انكليزية	فرنسوية	المانية
بوارج مدرعة	١١١٩٠٠٠ طن	٣٨٤٠٠٠ طن	٥٢٣٠٠٠ طن
ظرادات مدرعة	٠٨٠٩٠٠٠ "	٣٩٥٠٠٠ "	٢٢١٠٠٠ "
والجملة	١٩٢٨٠٠٠ "	٧٧٩٠٠٠ "	٧٤٤٠٠٠ "

وقد قيل ان الاستعداد للحرب امنع للحرب وهذا صحيح ولكن اذا بلغ الاستعداد هذا الحد من الشدَّة فهو خطر دائم على السلم ووهق ثقيل على عاتق الصناعة والتجارة. ولقد احسن المستر اتكنصن الاميركي حيث قال "ان الاميركيين يربحون من مصنوعاتهم خمسة في المئة كل سنة قبلما يفي الاوربيون ما يُطلَب منهم من النفقات لاجل جنودهم البرية والبحرية. فلا يتساوى العمال الاميركيون والاوربيون في المناظرة التجارية الَّا بعد ما يزول الحمل الثقيل الذين يحملهُ العمَّال الاوربيون" ولولا غلاء المعيشة في اميركا لبارت البضائع الاوربيَّة امام البضائع الاميركية في الدنيا كلها

ثم ان الناس اذا أُطلق سبيلهم فروا من البلاد التي تثقل الضرائب فيها الى البلاد التي ضرائبها خفيفة وهذا يدعو الى مهاجرة كثيرين من الاوربيين الى اميركا والذين لا يستطيعون المهاجرة يتحملون شظف العيش الى ان تحين لهم فرصة للثورة كما فعل سكان روسيا فاضرُّوا ببلادهم اكثر مما اضرَّ بها اليابانيون اعداؤُهم. وقد زاد الاشتراكيون في المانيا بسبب ما يلاقونهُ من الضيق والفاقة وهم يزيدون في اوربا كلها ولا بدَّ لهم من ان يقلبوا النظام الحاضر الَّا اذا رفئ الخرق قبل اتساعهِ

فاذا اراد ملوك اوربا ان يحتفظوا بعروشهم وجب عليهم ان يستنبطوا سبيلاً يزول بهِ العداء المتفاقم وتقلُّ النفقات الحربية المتزايدة وهو الوسيلة التي اشار بها لورد سلسبري في وزارتهِ الاخيرة اي الاتحاد العام بين الممالك الكبرى على حفظ السلم والالتجاء الى التحكيم في المسائل الخلافية. ولما التأم مؤتمر السلم في مدينة لوسرن اخيراً أُخبر ان مملكة الصين تنوي ان تعرض على مؤتمر السلم التالي الذي يعقد في هولندا انشاء مجلس للتحالف العام بين الدول الكبرى. فان كانت الصين تفعل ذلك فتكون قد سبقت اوربا في حب الخير والبعد عن الشر ويكون لها الفخر بانها ارجعت الى الدنيا السلام والوئام اللذين نزعها منها حب المال والجاه

وقال لورد افبري في الختام انهُ نظر الى هذه المسألة من باب مالي تجاري فقط ولكنهُ اذا نظر اليها من باب ادبي ديني فحالة اوربا الحاضرة عار على الدين والادب. ثم حث قومهُ على ان يبذلوا الجهد في ازالة اسباب التباغض وتقوية ربط الصداقة بينهم وبين سائر الامم

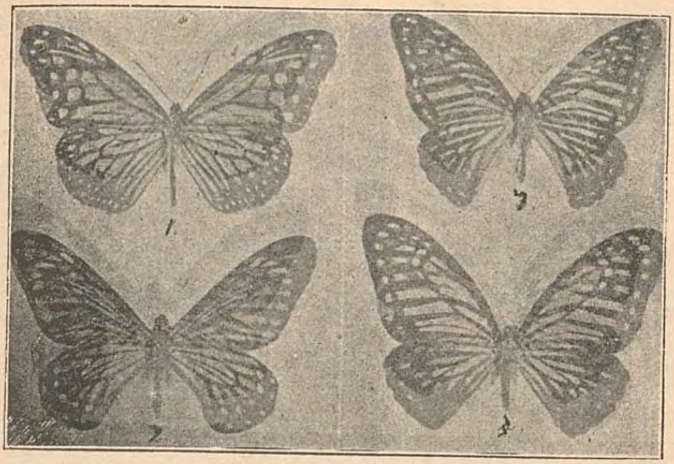

الفراشة الاولى كريهة الرائحة والفراشات الثلاث التي بعدها تمثلت بها شكلاً

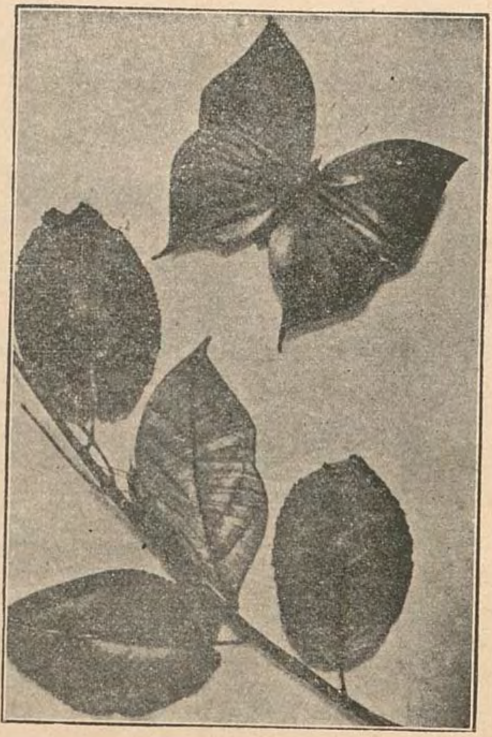

فراشة كليما طائرة وواقفة على غصن شجرة فتظهر كورقة من اوراقه

التقليد بين الحيوانات

يراد بالتقليد في عرف العلماء الطبيعيين تشبه حيوان او نبات ضعيفين بحيوان او نبات قويين في منظرهما الخارجي وقاية لهما من الطوارئ وصداً لغارات اعدائهما عنهما . وقد يكون الشبهَ بين حيوان وحيوان او نبات ونبات شديداً الى حدّ ان يعسر التمييز بينهما وردّهما الى نوعيهما الّا على العالم المتضلع من علمي الحيوان والنبات من ذلك ان للزنابير حمة تلسع بها فتذيق ملسوعها من العذاب الواناً وقد تميتهُ فلوقاية نفسها من اعدائها وتحذير اعدائها منها جهزتها الطبيعة بثوب ملوّن باللون البرتقالي والاسمر الغامق. فاذا رأتها الطيور والحيوانات الآكلة الحشرات تجنبتها خوفاً من اذاها ولو كان بها ما بها من الجوع

ولكن من الحشرات ما لا ضرر منهُ وهو يشابه الزنابير في شكلهِ ولونهِ مشابهة تامة والنوعان مختلفان تمام الاختلاف ويتخذ الثاني التشبه بالاول سلاحاً لهُ يتقي بهِ غدر الغادر من اعدائهِ فاذا رآهُ عدوهُ ظنهُ زنبوراً فيجتنبهُ ولو درى بحقيقة امرهِ وانهُ لقمة سائغة لاقدم عليهِ غير هيَّاب فهو بذلك يدفع الضرَّ عن نفسهِ

ومن اغرب ضروب التقليد ما يرى في الرسم التالي فالصورة المدلول عليها بالرقم ١ صورة فراشة لا حمة لها فهي بذلك مثل غيرها من انواع الفراش ولكن الطيور الآكلة الحشرات تنفر منها لكراهة طعمها . فلتفريقها عن غيرها لوّنت بالوان يستدلّ بها عليها رحمة باعدائها واستبقاء لها. والصور الباقية صور فراش يختلف عنها في نوعها ومذاقها كلّ الاختلاف ولكنهنّ يشبهنها كلّ الشبه في شكلها ولونها فاذا رآهنّ عدوّ ظنهنّ من نوع الفراشة الاولى فنفر منهنّ عيافاً لطعمهنّ

وكثيراً ما يختلف النوع المقلّد اختلافاً عظيماً عن النوع الذي خرج منهُ حتى يصعب ردهُ اليهِ

وربّ سائل يسأل ما هو العامل الذي افضى الى اختلاف الفراشة المقلّدة هذا الاختلاف العظيم عن نوعها . والجواب على ذلك ان هذا العامل هو الانتخاب الطبيعي وقد يظهر لاول وهلة انهُ لايكفي وحدهُ لاحداث ذلك الاختلاف ولكن لا يغرب عن البال ان اختلافاً مثل هذا لم يتمّ في مئات من السنين بل في مئات الالوف منها . والمرجّح ان فراشات النوع المقلّد وفراشات النوع الذي خرجت منهُ كانت في بادئ الآمر اقلّ تلوناً واكثر تشابهاً مما هي عليهِ الآن ثم اخذت تفترق على مرّ الحقب بفعل فواعل لا نعلمها حتى صارت على ما هي عليهِ الآن

وكما تقلد الحشرات بعضها بعضاً لاتقاء اعدائها تقلد النباتات التي تقع عليها لكي لا تميزها الطيور فتاكلها من ذلك الفراشة الهندية المعروفة باسم فراشة كاليما فان جناحيها في شكل ورقتين لها زنيدتان فاذا وقفت على غصن شجرة بانت مثل ورقة من اوراقهِ لان جناحيها يصيران كورقة واحدة ذات زنيدة كما ترى في الشكل الثاني

وما من احد راقب الحشرات الّا رأى عظم المشابهة في اللون بينها وبين ما تقيم عليهِ من صخر او تراب او نبات او حيوان فالديدان التي تكون على اوراق النبات يكون لونها في الغالب اخضر او اصفر مثل لون الورق . والجنادب والخنافس التي تقيم على الصخور يكون لونها مثل لون الصخور حتى يصعب تمييزها . ومن الحشرات ما يقف على اغصان الشجر وقفة يصير بها شبيهاً بعيدانهِ حتى يعسر تمييزهُ عنها . وقد جمع بعضهم سبعاً وعشرين من الحشرات المختلفة وصوَّرها في صورة واحدة مع ما تستقرُّ عليهِ من النباتات والاراضي ولوَّنها كلها بالوانها الطبيعية فاذا نظرتَ اليها ظننتَ انك ترى اشكالاً من النبات ولا تكاد تميز حشرة فيها ما لم يُقَلْ لك ان هنا صور كثير من الحشرات ويُطلَب منك تمييزها عما حولها فتجد ان ما كنت تظنهُ اوراقاً فراش مستقر على الاغصان وما كنت تظنهُ اغصاناً يابسة لا ورق فيها دود واقف كالاغصان اليابسة وما كنت تظنهُ ثمرًا حشرة اتمَّت حياتها الدورية وصارت زيزًا . وما كنت تظنهُ حصاة ملقاةً على الارض خنفسةٌ صغيرة مستديرة او بيضية الشكل . ومن الفراش ما يلصق بجذوع الاشجار فتظنهُ من لحاها كل ذلك لكي يخفى عن عيون اعدائهِ

وقفنا مرةً في معرض التاريخ الطبيعي بجنيفا ننظر الى ما فيهِ من انواع الحيوان المختلفة من دواب وزحافات وطيور وحشرات وهوام واسماك واصداف ورأينا هناك شجرة يابسة لم يتبيَّن لنا في اول الامر ما هو الغرض من وضعها بين الحيوانات ولما دققنا النظر فيها رأيناها مشحونة بالحشرات من كل الاشكال والانواع وكنا كلما امعنا نظرنا فيها نكتشف انواعاً جديدة منها حتى كأنها فلك نوح

ولا يُعلَم سبب طبيعي شكَّل الحشرات بهذه الاشكال التي تخفيها عن عيون اعدائها غير الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح فان التغيُّر ناموس مستمر شامل لانواع النبات والحيوان فاذا تغيَّرت فراشة في شكلها واتَّفق ان شابهت ورق النبات الذي تستقرُّ عليهِ فوقيت بذلك من اعدائها اكثر من اخواتها اللواتي لم يتغيَّرن مثلها صارت اصلح منهنَّ للنجاة من الاعداء فاخلفت نسلاً توارث هذه الصفة الجديدة فتقوى فيهِ . وقس على ذلك سائر الصفات الآيلة الى حفظ النوع

الاحتضارات والقبريّات

ولما احتضر الامير فلادمير مونوماخ الروسي كان مما اوصى بهِ بنيهِ قولهُ " لا تسمحوا بظلم الشعب واضطهاد المساكين بل انصفوا وترأفوا واعدلوا في احكامكم. وتحلوا بفضيلة التواضع التي تقيكم من الرذائل الوبيلة وعاملوا الناس بما تريدون ان يعاملوكم بهِ . واكرموا من هو اكبر منكم سنًّا ومعرفة . واحترموا نساءكم من دون ان تسلطوهنَّ عليكم . ولا تتأخروا عن الحرب التي يكون فيها خير لوطنكم . وحاذروا الكذب والغش والخداع والمكر والسكر والنفاق وما اليها من الرذائل والنقائص والاخلاق السيئة . وعودوا المرضى وشيّعوا الموتى الى مقابرهم وكونوا للأرامل عونًا وللأيتام ملاذًا ولا تخرجوا خوف الله من قلوبكم فتظللكم رحمتهُ وتشملكم نعمتهُ . وعلى الجملة فاحرصوا على كل عمل خيريّ يجرّ المنافع الى بلادكم ورعيتكم .... " ثم لفظ انفاسهُ سنة ١١٢٥ م

ولما دنت وفاة ابن العبري كرَّر على تلامذتهِ قول المسيح في انجيل يوحنا " بهذا اوصيكم ان يحب بعضكم بعضاً " وتوفي سنة ١٢٨٦ م

ولما دنا اجل السلطان عثمان جد السلاطين العثمانيين العظام استقدم ولدهُ اورخان وهو في بروسة فاجتمع بهِ في صغود وهناك اوصاهُ قائلاً : انني مغادر هذا العالم غير آسف لأني تارك من يخلفني فكن يا ولدي عادلاً رؤوفًا واتبع في احكامك شريعة النبي ثم فارقت نفسهُ الجسد سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢٦ م

ولما احتضر كريستوف كولمبس مكتشف اميركا قال " اجعلوا القيود معي في التابوت " ثم صاح " يا مخلصي بين يديك استودع روحي " وتوفي سنة ١٥٠٦

وقال يعقوب الخامس ملك اسكتلندا (١٥٤٢) " اتى (يريد التاج) مع ابنة ويذهب مع ابنة "

وقال لوثيروس (١٥٤٦) " في يديك استودع روحي يا رب اله الحق انت الذي فديتني واحببتني كثيرًا "

وقال كرلوس الاول ملك انكلترا لما حكم عليهِ بقطع عنقهِ (١٩٦٤) « انني ساترك تاجًا يفسد ويفنى لأُتوَّج بتاج لا يفسد ولا يفنى »

وقال ديكارت اب الفلسفة الفرنساويَّة (١٦٥٠) « هلمَّ يانفسي فانكِ انتِ من زمن

طويل اسيرة وهذه هي الساعة التي تطلقين فيهامن سجنك فيجب ان تحتملي مفارقة هذا الجسد بشجاعة وسرور »

وقال المحامي الشهير اومر تالون ساعة موتهِ لولدهِ الذي كان حذاء سريرهِ يطلب بركتهُ « جعلك الله يا بنيَّ رجل خير « وردها ثلاثاً ثم لفظ روحهُ (١٦٥٣)

وقال يعقوب شرلي الذي توفي (١٦٦٦) ما معرَّبهُ :

الا يا موت ادركني السرورُ   فنفسي للاله غداً تصيرُ
وُجدنا نحن من عدم لوقتٍ   فافناهُ تنفسنا القصيرُ
رأيناهُ طويلاً والبلايا   تصادم فيهِ وهي لنا نذيرُ
نعم قد جمَّع الاكدار عمرٌ   كما قد جمَّع الذرات نورُ
ستبلي رافلاً في ارجوانٍ   ومن هولابسُ الشعرِ القبورُ
فربَّ فضائلٍ بالخطب يهزا   وليس بجازع مما يثورُ
وتعبر نفسهُ بحر اضطرابٍ   الى مينا السلام فتستنيرُ

وقال الوزير كولبر وهو يسلم الروح (١٦٨٣) « لو خدمتُ الهي نصف ما خدمتُ بهِ ملكي لما كنت مرتاباً بخلاص نفسي — اما الآن فلا اعرف الى اين اصير »

وكتب لافونتين قبل موتهِ الى صديق لهُ (١٦٩٥) « يا عزيزي نعم ان الموت لاشيء ولكن اتفتكر انني ساقبلهُ تعالى »

وقال راسين لبوالو وهو محتضر (١٦٩٩) « انني سعيد جداً بموتي قبلك » واشار بذلك الى ان بوالو كان يحامي عن راسين في رواياتهِ ولا سيما رواية عثليا . وكان راسين صديقاً مخلصاً لكل من بوالو ولافونتين وموليير

ولما كان بوسيه الخطيب الفرنساوي الشهير يلفظ انفاسهُ (١٧٠٤) قال احد الحاضرين كلمة (المجد) فاجاب وهو محتضر « اتركوا هذا الخطيب وتضرَّعوا الى الله ليغفر خطاياي »

ويروى ان لويس الرابع عشر سأل المرشال دي لكسمبورغ وهو يجود بنفسهِ « ماذا تريد » اجاب المرشال « ساعة حياة » وقضى نحبهُ

وقال لويس الرابع عشر ملك فرنسا المشهور بالكبير للذين يحدقون بسريرهِ ساعة احتضارهِ (١٧١٥) « لماذا تنوحون أتظنون انني احيا الى الابد » ثم توقف هنيهة وقال « كنت اظن ان الموت اصعب من هذا »

ولما شعر بطرس الاكبر ملك روسيا بدنو ساعتهِ (سنة ١٧٢٥) طلب دواة وقرطاساً

واراد ان يكتب وصيتهُ الاخيرة فكتب منها «اعطوا كل شيء الآ . . . . » ثم وقف فكرهُ وقلمهُ فصاح بمن حولهُ «احضروا الاميرة حنة بترونا» وهي ابنتهُ كأَنهُ كان ينوي ان يملي عليها فلما حضرت عقِل لسانهُ وبقي لم ينبس ببنة شفة الى ان مات بعد قليل

وسقط جيلبر الشاعر الفرنسوي عن جوادهِ فجنَّ وأُدخل المستشفى ومات بعد ثمانية ايام (١٧٨٠) مختنقاً بمفتاح صغير ابتلعهُ ويُروى انهُ قال هذه الابيات على فراش الموت وقد عرَّبتها وفق الاصل ما امكن

الى خالقي القدوس قلبيَ ارفعُ   وفوق فراش الموت عينيَ تدمعُ
ونخسَ ضميري سوف يشفي لانهُ   يسلّحني بالصبر والصبر أدرعُ
دعا البؤسا اولادهُ فاغاثهم   وجند العدى من حولهم قد تجمَّعوا
يقولون عني والضغائن ملؤُهم   «ألا فليمُتْ والمجد معهُ مُضيَّعُ»
ولكن لقلبي الساكن الربُّ قائلٌ   «سيعضدك البغض الذي منهُ تجزعُ
فأُولئك الأَعدا انالوا صديقهم   مكايدهم فالحبُّ منهم تصنُّعُ
يبيعك بيعَ العبد من قد امنتهُ   وكم ساذج في ذلك الحبِّ يخدَعُ
يردُّك نخسُ الفكرِ من أَلم البلا   إِلى خالقٍ صوت التنهُّد يسمعُ
هو الغافر الآثام في الضعف والشقا   فيكفيك ان الله في الضيقِ مفزعُ
يحرّكُ عدلاً ليس يفنى سكونهُ   ويجبر قلباً بالأَسى يتقطَّعُ
يمحّصك الأَعداءُ كالفضَّة التي   توالت عليها النار فالبغض ينفعُ»

⁂

حنانيك يا ربي تباركتَ سامعاً   صراخي لأَني عند موتيَ اضرعُ
تعطَّفت في ردّ الطهارة منعماً   عليَّ فأَنت الراحمُ المترفعُ
تعاهدُ جسمي في الضريح بنظرةٍ   فتحيي رُفاتي بعدما طال مصرعُ
كأَني انا ضيف الحياة بشقوتي   اليها اتيتُ اليوم واليومَ أَرجعُ
اموتُ وما من ذارفٍ عبرَاتهِ   عليَّ ولا قربي نسيبٌ مودّعُ
فالفظ في لفظي الحياة مردّداً   وداعاً بهِ هذي الطبيعة تصدعُ
على القبَّة الزرقاء خيمة جنسنا   سلامٌ بهِ نور الكواكب يسطعُ
سلامٌ على تلك الحقول وحسنها   سلامٌ على المنفى الذي فيهِ ارتعُ
فليتَ صحابي بعدما طال عمرُهم   بما قد حُرمتُ الآن منهُ تمتَّعوا

يموتون بين الاهل حيث نسيبهم   يغمّض اجفانًا لهم وهو موجعُ

وقال الدكتور وليم هنتر سنة ١٧٨٣ " لو كان لي قوة لامسكت قلمًا وكتبت ما اسهل وابهج ما يسمونهُ موتًا "

وقال انطون بينيزه الفرنساوي المحسن العظيم لما طلب منهُ احد اصدقائهِ جمع اوراقهِ لنقل سيرتهِ عنها فمنعهُ " اذا كنت تريد ان تذكرني بعدما افارق هذا العالم فقل ان انطون بينيزه كان فقيرًا ومن فضل الله استحق ان يعرف ذلك " ثم توفي سنة ١٧٨٤

وقال توما غينسبرو المصور الانكليزي سنة ١٧٨٨ : " كلنا ذاهبون الى السماء وفنديك (المصور المشهور) ايضًا "

وقال ميرابو سنة ١٧٩١ : " انني بموتي احمل معي تابوت الملك " وكنى بذلك عن امتداد الثورة وتلاشي الملكية وهو كما لا يخفى كان محاميَ الشعب ومن حزبهم

وقالت ماري انطوانيت (١٧٩٣) " الوداع يا بنيّ الى الابد فانا ذاهبة الى ابيكم "

وقال لويس السادس عشر قبل قتلهِ (١٧٩٣) : " انني اموت بريءُ الساحة مما اتُّهِمتُ بهِ زورًا فلذلك اغفر لجميع من سعى بقتلي واتمنَّى انَّ دمي لا يعود ابدًا على فرنسا "

ولما احتضر أميل روتشيلد موَّسس بيت روتشيلد المشهور اوصى بنيهِ الخمسة بست وصايا قائلاً (١) تمسكوا بالشريعة الموسوية (٢) كونوا متحدين قلبًا وقالبًا ما دمتم في الحياة (٣) اعملوا بمشورة والدتكم (٤) اشركوا الأُسرة بثروتكم (٥) لا تتزوَّجوا بغير بنات اسرتكم (٦) قدّموا الطاعة لاكبركم سنًّا

وقيل ان من آخر اقوال روبرت نيكول الشاعر الانكليزي ما عرَّبتهُ ملخصًا

تبقى على الاوراق آثار الندى   كالدرّ زيَّن بالبهاء زبرجدا
خجلت بها تلك الاقاحي فانحنت   وهي الاديبة جمّلت بحلى الهدى
ونسيمنا يحيي الرياضَ عبيرُهُ   متنائيًا متدانيًا متردّدا
لكنني امضي واترك موطني   متجرّعًا لفراقهِ كأْس الرَّدى
فكأنما صوت الطبيعة منذري   منذ الصبّا اني اموت مجرّدا
والنفس تحكي بُرْعُمًا لكنهُ   في الخلد يزهر ثم يبقى سرمدا
انا واثق برجايَ والايمان فالرحمنُ   اصبح في الشدائد منجدا
ومن الشقاء الى البقاء ترحُّلِي   فلمَ التفجُّعُ والهنا أَلقى غدا
فهناك جناتٌ تناهت بهجةً   ساكون فيها راتعًا طول المدى

وقال مودي الممثل شعرًا من شكسبير يخاطب بهِ الحياة "اذا فقدتكِ افقد شيئًا لا يحتفظ بهِ الَّا المجانين"

ولما كان الاميرال نلسون الانكليزي الشهير في واقعة طرف الغار وأُصيب بجراح مؤلمة كان يقول عند نزعهِ اشكر الله لانني تممت واجباتي – وكرّر ذلك الى ان توفي سنة ١٨٠٥

وقالت مدام دي ستيل الكاتبة الفرنسوية (١٨١٧) «احببت الله وابي وحرّيتي»

ومن اغرب ما حدث لكثير من جنود نابليون بونابرت ان احدهم اقبل على بونابرت وهو يتفقد الجرحى في معركة اوسترليتز. فوضع يدهُ على جرحهِ ودنا منهُ متثاقلاً ليهنئهُ بالظفر فابتسم لهُ ثغر نبوليون وقال لهُ: اراك ايها العزيز جريحًا فعساك غير متألم – فاجاب «انني ايها المولى لست بجريح بل قتيل» ثم سقط ميتًا امامهُ

وكان جرّاح انكليزي يطوف بين الجرحى في معركة ووترلو فرأى جنديًا فرنساويًا يتألم من رصاصة في صدرهِ فسألهُ عما اذا كان يريد ان يشق صدرهُ ويخرج الرصاصة منهُ فاجابهُ «ايها الصديق احفر فيهِ الى حيث تجد الامبراطو» – اي الى سواد القلب – ثم اسلم الروح وهو تحت العملية الجراحية

وقال نابوليون وهو محتضر (١٨٢١) «الله والشعب الفرنساوي. والجيش»

واوصى بعضهم عند موتهِ (١٨٢١) قائلاً «انا جون ايلت اوصي ان يشتري المفوَّضون في توزيع تركتي صورةً تمثّل عقربًا تلسع اليد التي انقذتها من الهلاك. وتعطى هذه الصورة لفلان ليتذكر دائمًا خيانتهُ ولؤمهُ ونكرانهُ الجميل لانني انقذتهُ من مخالب الفاقة والذل باعانتهِ بمبلغ ثلاثة عشر الف ليرة من مالي فخانني»

وقال توما جفرسن ثالث رئيس للولايات المتحدة الاميركية (١٨٢٦) «اني اسلم نفسي لله وابنتي للوطن»

وقال هنري بستالوزي المحسن العظيم (١٨٢٧) وقد جمع اسرتهُ يوصيها «يا اولادي لا تقدرون ان تتمموا عملي ولكن يمكنكم ان تفعلوا الخير ما استطعتم ويمكنكم ان تعطوا الفقراء ارضًا ليفلحوها وها انا ذاهب لاطالع كتاب الحقيقة. فاغفر لجميع اعدائي ذنوبهم وادعو لهم بالسلام ما زلت راحلاً الى السلام الابدي. ولقد كنت اودّ ان احيا عمرًا اطول لاتم عملي ولكن اشكر الله الذي ينقلني من هذه الحياة الارضية فانتم يا بنيَّ امكثوا بسلام في مدينة فيهوف واطلبوا السعادة بين اسرتكم» ثم اشار اليهم ان لا يبنوا بناءً فاخرًا على قبرهِ قائلاً «لا يجد ربي الَّا حجرًا غير منحوت لانني لم اكن شيئًا غير ذلك» ومات

وقالت مدام ديدڤان (جورج سند) سنة ١٨٧٦ « اتركوا القبر اخضر – لا تغطوهُ بالآجرّ ولا بالحجارة »

ولما رُميت قنبلة على الامبراطور اسكندر الثاني الروسي وهو راجع الى قصر الشتاء وجرح بانفجارها كثيرون صاح بحنان ولهفة "اتركوني ارَ المجاريح" ثم القيت عليهِ قنبلة قتلتهُ سنة ١٨٨١

ومن آخر اقوال لنغفلو الشاعر الاميركي المتوفى سنة ١٨٨٢ " حسبي تعزية انني اذا راجعت كتاباتي لا اقرع سني ندماً على سطر واحد مما كتبت لان قصدي جميعهُ كان حميد المبدإِ . وافضل تعزية لشيخوختي ان كل ما كتبتهُ كان للبنيان لا لهدم . . . "

ولما احتضر الامبراطور فريدريك الالماني اوصى ابنهُ الامبراطور غليوم الثاني الحالي بقولهِ " يا بنيَّ تعلَّم احتمال النوائب ولا تضجر " وتوفي سنة ١٨٨٨

وبينما كان الاميرال جورج تريون الانكليزي يغرق في الدراعة ڤكتوريا قرب طرابلس الشام سنة ١٨٩٣ قال " السلام على انكلترا "

ويقال ان الاسكندر الثالث قيصر روسية قال في صباح يوم موتهِ لزوجتهِ القيصرة " انني احسن بانقضاء اجلي فسكّني روعكِ وها انا ذا مستعد للموت " . وقرب وفاتهِ قال لولي عهدهِ (الامبراطور نقولا الثاني الحالي) بعد ان وقف على المنشور الذي كان قد اعدَّهُ ليوزّعهُ على الشعب " اعتنِ بالسلم الذي لم يتكدَّر صفاؤُهُ مدة ملكي " — ثم اوصاهُ بقولهِ " اعلم يا ابني ان هذا عنوان مجدي ولا يكمل منشورك الاَّ بهِ . وقد احسنت لعدم تعرُّضك فيهِ لذكر شيء مما تستطيع ان تمنحهُ لامتك من الحرية اذ لا ينبغي ان ينال الشعب الحرية دفعةً واحدة بل شيئًا فشيئًا على قدر حاجتهِ اليها " ولم يلبث ان عُوجل الى رحمة ربهِ سنة ١٨٩٤

ولما احسَّ العلاَّمة الشهير الدكتور ڤانديك بقرب وفاتهِ (١٨٩٥) اوصى بان يكون الاحتفال بدفنهِ بسيطًا جدًّا فيصلَّى على جثتهِ في منزلهِ ولا يتلى على نعشهِ الاَّ فقرات معينة من كتاب الصلاة ولا يؤَبّنهُ خطيب ولا يرثيهُ مؤبّن وان يُدفن عند الغروب . ودنا منهُ الدكتور يوحنا ورتبات والحَّ عليهِ ان ياخذ شيئًا لتقويتهِ فقال " انني شبعت من الحياة فلا حاجة لي بعد الى غذاء فاذا كانت قد بقيت عليَّ خدمة لسورية فتمّمها انت عني " واسلم الروح

وودَّع فيلكس فور رئيس جمهورية فرنسا امرأتهُ واصدقاءهُ قبل موتهِ (١٨٩٩) قائلاً " انني استغفر من اسأت اليهم في حياتي واغفر لمن اساءَ اليَّ " وفاضت روحهُ

وآخر احتضار اوردتموهُ لارڤنغ في الصفحة ٩٥٠ من السنة الماضية . الى غير ذلك مما لا يحصى

عيسى اسكندر المعلوف

امثال انكليزية

الامثال الانكليزيَّة كالامثال العربيَّة اقوال سائرة صفتها الخاصَّة انها جُمَل قصيرة تدل على معانٍ كبيرة وحقائق مشهورة يتعلمها الانسان من الخبرة في نفسهِ او المشاهدة في غيرهِ. فهي جميعها الَّا ما كان منها فكاهاتٍ يتسلَّى بها مدة الفراغ وحِكَمٌ ونصائح مفيدة. وقد اجمع الناس على وضعها واذاعتها لما فيها من الفكاهة والفائدة. ولذلك نراها ثابتةً في أَدَب كل امة وقد وصل بعضها الينا من الازمنة القديمة واستحسنها اعظم الشعراء والفلاسفة والعلماء واقتبسوها في ما كتبوهُ ومنهم من جمعها في كتب خاصة كالامثال العبرانية المنسوبة الى سليمان والامثال اليونانية في كتاب لارسطوطاليس والامثال العربية للميداني وغيرهِ. ونظم المتنبي فيها ابياتًا كثيرة وضمنها شكسبير رواياتهِ واشعارهُ وادهش سرفنتس اهل الأَدب بما جمع في حكايتهِ المشهورة من الامثال المضحكة او الحِكَم الجليلة وقس عليهم كثيرين من اصحاب التآليف في لغات شتَّى. غير ان كثيرًا منها خاص بالامة التي وُضعت فيها وشاعت بينها اما لجناس لفظي يعسر او يستحيل نقلهُ الى لغة اجنبية او لما اختصوا بهِ من الاقليم والعادات كالمثل الانكليزي ”إجمع التبن ما دامت الشمس مشرقة“ فان الصيف عندهم كثير الامطار اذا اشرقت الشمس وجب انتهاز الفرصة وهو المعنى المقصود

هذا ويندر ترجمة مثَل من لغة الى اخرى من غير ان يفقد شيئًا من طلاوتهِ او دقة معناهُ. ولما كانت حكم الامثال ناشئة عن مراقبة احوال الحياة وصروف الدهر وكان الطبع البشري واحدًا في كل صقعٍ ومكان شوهد بين امثال الاقوام المختلفة مشابهة شديدة وندر وجود مثلٍ في لغةٍ لا شبيه لهُ في اللغات الاخرى كالمثل الانكليزي ”لطف الاخلاق يؤَدي الى الثروة“ والمثل العربي ”سعة الارزاق في سعة الاخلاق“. وكالمثل العربي ”سلامة الانسان في حفظ اللسان“ والمثل الانكليزي ”كلمة حادّة أَقطعُ من سيف حادّ“ والمثل الياباني ”اللسان الذي طولهُ ثلاث عقد قد يقتل رجلاً طولهُ ست اقدام“

وللامثال والحِكَم حدود طبيعية وقيود مضمرة لا بد من النظر اليها قبل صحة فهمها واطلاقها فان المثل الانكليزي ”تصالحوا لان المحاكمة كثيرة النفقة“ والمثل العربي ”الصلح سيّد الاحكام“ لا ينفيان صواب المحاكمة في كل حال بل المراد بهما اغلبية خير المصالحة وهو حكمة عظيمة لو عمل بها الامم والافراد لامتنع كثير من الحروب والخصام

ومن الامثال الانكليزية التي اخترت تعريبها افادة لقراء المقتطف ما يأتي

اذا أُجهد الصبر تحوَّل غضباً

تصالحوا فان المحاكمة كثيرة النفقة (الصلحُ سيّد الاحكام)

كلٌ ما بين المهدِ واللحْدِ مجهول

كل شيء خيرٌ اذا انتهى بالخير

كل الناس يظنون اعداءهم اشراراً

كل الانهر تجري الى البحر

كل شيء سهل اذا كانت الارادة هناك

السعادةُ مشارب (لا جدال في الذوق . وللناس في ما يعشقون مذاهبُ)

كلمةٌ حادّة اقطعُ من سيفٍ حادّ . (ومن امثال اليابانيين اللسان الذي طولهُ ثلاث عقد قد يقتل رجلاً طولهُ ست اقدام . ومن امثال العرب "وخزُ اللسان احدٌ من وخز السنان" ومن اشعارهم

جراحات السنان لها التئامٌ ولا يلتامُ ما جرحَ اللسانُ)

العدوٌ جاسوس دائم

قد يشور العدوٌ مشورةً صالحة

يهزُلُ الحسود اذا سمن جارُهُ

الصادقُ يُصدَّقُ بلا يمينٍ لان صيتهُ يحلف عنهُ

كلمة الصادق حجة

قد تخربُ ساعةٌ ما عُمّر في جيل

ساعةُ حزنٍ اطول من يوم سرور

السنديانةُ لا تقطعها الفأسُ بضربةٍ واحدة

المرأة المطيعة تتسلطُ على زوجها

أطلبْ الشيخ من الاطباء والشاب من المحامين

درهم من الحكمة خير من رطل من الذكاء

الغضبُ في الرجل الصالح قصير المدّة

سئل احدالقدماء ماذا تعلمتَ من الفلسفة قال تعلمتُ ان اعيش بالسلام مع جميع الناس

كما يشبهُ الذئبُ الكلبَ هكذا المتملق يشبهُ الصديقَ

كما تحيي تحيّ . كما تزرعُ تحصد

إحذر النمام كما تحذر العقرب
كن بشوشًا ابدًا ما امكن فان الحزين لا يسرُّ احدًا
كن على ما تتظاهر بهِ وتظاهر بما انت عليهِ
الجمال بلا طهارةٍ كسمٍّ في حقٍّ من ذهب
قبل ان تغضب انظر هل من سبب للغضب
قبل ان تصادق انسانًا كل معهُ رطلاً من الملح
الحكم الحازم اليوم لا يكون حجة على عدم تغييرهِ غدًا
لا تصدق اكثر من نصف ما تسمعُ عن غني انسان وصلاحهِ
البيت الفارغ خيرٌ من سكّان السوء
قلع الضرس خير من ألمهِ الدائم
البطالة خير من عمل السوء
الوحدة خير من معاشرة الاشرار (السلامة في الوحدة)
خيرٌ للانسان ان يُحسَد من ان يُرثى لهُ (رَحَبوتٌ خيرٌ من رَحَموت)
الانحناء خير من الانكسار . النسب حسن وخير منهُ الأدب
المزاحُ المرُّ سمٌّ للصداقة . الأسودُ اسودُ دائمًا
اعمال الشجاعة لا تحتاج الى بوق . افراح الزواج تُنسى سريعًا
الحكيم يُصلح عيوبَهُ من النظر الى عيوب غيرهِ
الحماقة الدُّ الاعداء والحزمُ خير الاصدقاء
حماقة الرجل يجب ان تكون اعظم اسرارهِ (اذا بليتم بالمعاصي فاستتروا)
الهدية ترحّب المكان . الغنى عدوُّ الانسان
الفوز للفئة الصغرى اذا كانت على حق
المكنسة الجديدة تكنس نظيفًا . ايماء الصادق كافٍ
من كمالات الحياة اليقين باننا بعيدون عن الكمال
الحصاةُ والجوهرةُ سيَّانِ في نظر الاعمى
المسرَّة اذا طال انتظارُها صار ثمنها غاليًا
من كان ضميرهُ مطمئنًّا نامَ والرعود تقصف
لا تثقْ بصديقٍ يُعاديك ثم يُصالحك

الذنبُ عمداً لا عُذْرَ لهُ ولا يحقُّ لهُ العفو
الحكيمُ يتعلَّم ممَّن لا عِلمَ لهُ
كلمةٌ من قبلُ تساوي كلمتين من بعدُ
اذا رميت نفسك الى بئرٍ فليس للعناية ان تنشلك منها
اذا اردت ان تفوقَ في شيءٍ وجب ان تفوق اولاً في الجدّ
اذا اردت مشورةً صالحة فاطلبها من شيخٍ
الجِدُّ ينشّطُ الجسد والعقل وهو علَّةُ النجاحِ
أُكرَمُ لاسمي في بلدي وللباسي في بلدٍ غريب
لا يقنطُ الرجلُ الصالح ولو اصابتهُ اعظم الرَّزايا
للزوجِ الحكمةُ وللزوجةِ اللّطف
في الجدال الطويل يضيعُ الحقّ
من اللؤم ان تخون انساناً وثق بك
الغلطُ من شأن الانسان واما الاصرارُ على الغلط فمن الشيطان
لا عار على الانسان ان يتعلَّم ما لم يعلَم مهما كان سنُّهُ
اذا شاخت الشجرة لم يكن تقويمها من السهل
اعظم المصائب عدمُ المقدرة على احتمال المصائب
من الحكمة ان لا يطلب الانسان كشف سرٍّ واذا عرفهُ فمن الامانة ان لا يعلنهُ
من الخطاء ان يُمدَح الزرعُ وهو اخضر
لا تحكم على الناس ولا على الاشياء من النظرة الاولى
اذا عاشرت الفضلاء عدّك الناس واحداً منهم ۰ اذا عرفت نفسك لم يجهلك احد
المكر قد يفيد مرة واما الصدق فطويلُ الفائدة
العلم في الشباب حكمةٌ في الشيخوخة . العلمُ كنزٌ مفتاحهُ العمل
كن قانعاً بما قسم الله لك
أَبعد الحزن عنك ما امكن ۰ دع الهمّ الى ان يأتي يومهُ
يبدأُ الكذوب بخداع غيرهِ وينتهي بخداع نفسهِ
ليس الجود العطاء بسخاءٍ بل بحكمةٍ
ينقضي نصف حياتنا قبل ان نعلم ما هي

اذا اقتصرت حاجتك على ما هو ضروري كنتَ سعيداً
الزواج مع السلمِ نعيمُ الدنيا ومع الخصام جحيمها
يجب على السيد أن يكون احياناً اعمى واحياناً اطرش
اكثر ما يميل اليهِ الانسان امور فضولية لا طلبَ المعرفة
ميلُ الناس الى الانتقام اشدُّ من ميلهم الى مكافأة المعروف
الغنى والصلاحُ لا يأتيان فجأةً . اذا اصابنا النحس عرفنا ما هو السعدُ
السرور والحركة يطيلان الحياة
الاعتدال هو السلك الذي يضمُّ سلسلة الفضائل
المال لا يصيّر اصدقاء صادقين بقدر ما يصيّر اعداء الداء
الحجر المتدحرج في الماء لا يعلقُ بهِ طُحْلُب
اذا اراد العقل كانت القدَمُ سريعة الجري
كن مستقيماً شجاعاً ولا تخف من الشيطان واعمالهِ
اذا غضبَ الله فأمنعُ الحصون لا يردُّ الصاعقة
اذا مضى الزمان لم يعدْ . الحبُّ يهزأُ بالاقفال
أحببْ جارك ولكن لا تهدمِ السياج الحائل بينك وبينهُ
على الحكام ان يطيعوا الشرائع كما عليهم ان ينفذوها
ما يكون اكثرَ من الكفاف فهو زائد
اذا اردت ان تشتري حقلاً أسرع واذا اردت ان تتزوج تبصَّر
لا تجعل صديقك رخيصاً لك ولا تكن رخيصاً لهُ
اجعل الليلَ ليلاً والنهارَ نهاراً فتسعد
الانسان يُعاقبُ على العمل والله يُعاقبُ على النيَّة
الآداب اللطيفة كثيرًا ما تؤدي الى الثروة (سعة الارزاق في سعة الاخلاق)
ايسر للانسان ان يحتمل الشدة من ان يحتمل العار
كثيرون يقبّلون اليد التي يريدون قطعها
كثيرون لا يشترون بمالهم شيئاً الاَّ الندامة
كثير ينبتُ في البستان وهو لم يزرع
كثيرون يكونون شرًّا مما هم لو كان مالهم اكثر

الدكتور يوحنا ورتبات

ايضاحات لغوية

تنطوي على اكثر ما تبدّد في كتب اللغة من الفوائد التي لا يستغني اللغويّ عن معرفتها

(١) المصدر اذا كان وزان فَعْل بفتح فسكون فقد يجمع على الصيغة التي يجمع عليها فاعل كقولهم في جمع بنات نعش نواعش قال ابن منظور في مادة (ن ع ش في اللسان) " ان قلت كيف كسّر فعْلاً على فواعل وليس من بابهِ قيل جاز ذلك من حيث كان نعش في الاصل مصدر انعشهُ الله نعشاً . والمصدر اذا كان فعلاً فقد يكسَّر على ما يكسّر عليهِ فاعل وذلك لمشابهة المصدر لاسم الفاعل من حيث جاز وقوع كل واحد منهما موقع صاحبهِ كقولهِ قمْ قائماً اي قم قياماً . وكقولهِ سبحانهُ " قل أرأَيتم ان اصبح ماؤُكم غوراً "

(٢) العرب اذا كان الشيء هو لهُ اخرجوهُ على فاعل مثل دارع لذي الدرع . وان كان فيهِ او عليهِ اخرجوهُ على مفعول كقولك مجنون اي فيهِ ذلك ومديون اي عليهِ ذلك (اللسان في مادة ه و ل) قال الفيومي " النسبة قد يكون معناها انها ذو الشيء وليس بصفةٍ لهُ فتجيء على فاعل نحو دارع وناشب ونابل وتامر لصاحب الدرع والنشاب والنبل والتمر " (المصباح)

(٣) يقال سحابٌ هاتنٌ وهتونٌ وسحائب هُتُن وهتّن . كأَن هُتُناً جُمع هاتن او هاتنة لان فُعلاً لا يكون جمع فَعول (اللسان في مادة ه ت ن) . ومثلهُ النُقُس بضمتين قال في اللسان في مادة " ن ق س " يجوز ان تكون جمع ناقوس على توهُّم حذف الأَلف . وان يكون جمع نَقْس الذي هو ضربٌ منها كرهْن ورهُن . وسقْف وسُقُف

(٤) ليس في الكلام اسم على فاعل يعتور عليهِ فُعلة وفِعال الّا راعٍ وآسٍ (١) فيقال رُعاة ورِعاء وأُساة وإِساء (اللسان في ترجمة ر ع ي)

(٥) التاء في الحجارة لتأْنيث الجمع وجاء في اللسان ما نصهُ " الحقوا الهاء لتأنيث الجمع كما ذهب اليهِ سيبويهِ في البُعُولة والفحولة . قال الليث الحجر جمعهُ الحجارة ليس بقياسٍ لان الحجر وما اشبههُ يُجمع على أَحجار ولكن يجوز الاستحسان في العربية كما يجوز في الفقه وترك القياس لهُ كما قال الاعشى يمدح قوماً

لا ناقصي حسبٍ ولا أَيدٍ اذا مُدَّت قِصاره

قال ومثلهُ المهارة والبكارة لجمع المهر والبكر . وروي عن ابي الهيثم انهُ قال العرب تدخل

---

(١) الآسي : الطبيب

الهاء في كل جمع على فعال او فعول وانما زادوا هذه الهاء فيها لانهُ اذا سكت عليهِ اجتمع فيهِ عند السكت ساكنان احدها الالف والثاني آخر فعال المسكوت عليهِ وقالوا عِظام وعِظامة ونفار ونفارة وقالوا فِحالة ورِجالة وذكارة وذكور . وفحولة وحمولة . قال الأزهري هذا هو العلة التي عللها النحويون فاما الاستحسان الذي شبههُ بالاستحسان في الفقه فانهُ باطل (اللسان في مادة ح ج ر)

(٦) قد يضاف المفرد الى جمعهِ للمبالغة كأنهُ ثابت في غيرهِ بالنسبة اليهِ كأَبد الآباد . وازل الآزال . كذا نقل من خط السيف الابهريّ (التاج في مادة اب د)

(٧) قد يحذف شيءٌ من حروف المفرد ثم يجمع الباقي جمع ما يوازنهُ وقد جاء في اللسان النطارة (١) جمعها انطاء . قالوا هو على حذف الزائد ومنهُ الشبائب قالوا هو جمع شبة مقصور شابة

(٨) قد يبنى الفعل من لفظ الكلمة مع زيادتها . قال ابن بريّ توبَلْتُ القِدْرَ جعلت فيها التوابل . بُنيَ الفعل من لفظ التوابل بزيادتهِ كما بُنيَ تمنطق من المنطقة بزيادتها ومثلهُ برهن على القول بان نون البرهان زائدة

يجوز ان تكون النون في البرهان نون جمع على فُعْلان ثم جُعلت كالنون الاصلية كما جمعوا مصادًا على مُصْدان (٢) ومصيرًا على مصران ثم جمعوا مصرانًا على مصارين على توهم انها اصليَّة (اللسان في مادة ب ر ه) ومثلهُ مُسْلان في جمع مسيل الماء تشبيهًا لفعل بفعيل

(٩) قد يأتي فِعال بالكسر بمعنى فاعل او بمعنى مفعل ومنهُ المال الضمار . قال في اللسان الغائب الذي لا يرجى فاذا رُجيَ فليس بضمارٍ من اضمرت الشيء اذا غيبتهُ فعال بمعنى فاعل او مُفعَل ومثلهُ من الصفات ناقة كناز (اي كثيرة اللحم)

(١٠) ما ورد مثنىً من اسماء المواضع كالرقمتين واباَنين قد يُفرد . فاذا قيل العقيقان كان المراد بلدَين في بلاد بني عامر . واذا قيل العقيق يجوز ان يعنى بهِ العقيق الذي هو وادٍ بالحجاز وان يُعنى بهِ احد هذين البلدين (اللسان في ترجمة ع ق ق)

(١١) ورد في اسماء الجموع فعيل الَّا انهم تارةً عاملوهُ معاملة الجموع فأنثوهُ كالعبيد . وتارةً عاملوهُ معاملة اسماء الجموع فذكروهُ كالحجيج (٣)

(١٢) رجل صبيح وصُباح بالضمّ : جميل والجمع صِباح بالكسر . وافق الذين يقولون

---

(١) قمع البسرة وهي الثمرة قبل ارطابها وذلك اذا لوَّنت ولم تنضج

(٢) المصاد : اعلى الجبل وقيل المضبة العالية الحمراء

(٣) الحجيج : جماعة الحجاج

فُعال الذين يقولونا فعيل لاعتقابهما كثيرًا والانثى فيهما بالهاء والجمع صِباح . وافق مذكَّرهُ في التكسير لاتفاقهما في الوصفية (اللسان في ترجمة ص ب ح)

(١٣) شعراء جمع شاعر على تشبيه فاعل بفعيل . قال ابن منظور " رجل شاعر والجمع شعراء . قال سيبويه شبهوا فاعلاً بفعيل كما شبَّهوهُ بفعول كما قالوا صبور وصبُر . واستغنوا بفاعل عن فعيل وهو في انفسهم وعلى بالٍ من تصوُّرهم لما كان يقع موقعهُ . وكُسِّر تكسيرهُ ليكون امارة ودليلاً على ارادتهِ وانهُ مغنٍ عنهُ وبدلٌ منهُ "

ونقل الفيومي عن ابن خالويهِ : انما جُمع شاعر على شعراء لأَن من العرب من يقول شَعُرَ بالضم فقياسهُ ان تجيء الصفة منهُ على فعيل نحو شرفاء جمع شريف ولو قيل كذلك التبس بالشعير الذي هو الحب المعروف فقالوا شاعر . واما نحو علماء وحلماء فجمع عليم وحليم اه ...

قال ابن المصنف " ان نحو عاقل وصالح وشاعر مشابه لنحو بخيل وكريم في الدلالة على معنًى هو كالغريزة . فهو كالنائب عن فعيل فلهذا جرى مجراهُ "

(١٤) يجوز حذف التاء عند الضرورة كقولهِ في جمع باقٍ شناعه وقول الآخر

أَلا ليت شعري هل تنظَّر خالدٌ عيادي على الهجرانِ ام هو يائسُ

اراد الاول شناعتهُ . والثاني عيادتي فحذف التاء من كليهما ليستقيم الوزن (اللسان في مادة ش ن ع)

(١٥) الأَصاغرة . قال ابن سيده " انما ذكرت هذه الهاء في حدِّ الجمع اذ ليس منسوبًا ولا اعجميًّا ولا اهل ارض ونحو ذلك من الاسباب التي تدخلها الهاء في حدِّ الجمع . لكن الاصغر لمَّا خرج على بناء القشعم [1] وكانوا يقولون القشاعمة الحقوهُ الهاء وقد قالوا الاصاغر بغير هاء اذ قد يفعلون ذلك في الاعجمي نحو الجوارب والكرابج [2] وانما حملهم على تكسيرهِ انهُ لم يتمكن في باب الصفة

(١٦) قال الازهري قد جاءت حروف على لفظ فاعل وهي جمع عن العرب فمنها الجامل والسامر والباقر والحاضر . فالجامل : الابل يكون فيها الذكور والاناث . والسامر : الجماعة من الحي يسمرون . والحاضر : الحيّ النزول على الماء . والباقر : البقر فيها العجول والاناث

(١٧) اذا كان الفعل واويًّا لا يمتنع مع ذلك ظهور الياء في مصدرهِ . مثالهُ الصَيبان مما صاب من المطر فهو من صاب يصوب اجوف واويّ ولم يمتنع ظهور الياء فيهِ لان لهُ نظائر

---

[1] القشعم : المسن من الرجال والنسور والاسد

[2] الجوارب جمع الجورب وهو لفافة الرجل ويعرفهُ العامة عندنا بالقلشين وبالكلسات . والكرابج : الحوانيت والواحد كربج بضم اولهِ وفتح ثالثهِ

منها الريحان من الروح والعَيْدان للنخل الطوال من العود

(١٨) قد تدخل استفعل في بعض حروف تفعَّل نحو تعظم واستعظم وتكبَّر واستكبر وتيقَّن واستيقن وتثبَّتَ واستثبتَ

(١٩) العرب تجترئُ على تذكير المؤنث اذا لم يكن فيهِ علامة تأنيث وقام مقامهُ لفظ مذكر. حكاهُ ابن السكّيت وابن الانباريّ وحكى الازهريّ قريباً من ذلك. وقولهم كفٌّ مخضَّبٌ علي معنى ساعد مخضَّب لكن قال ابن الانباريّ "باب ذلك الشعر" رواهُ الفيومي في توجيه قول الشاعر "والعين بالاثمد الخازيّ مكحولُ"

(٢٠) المعاقبة هي ادخال احد حرفي اللين على الآخر فيقال في جمع ميثاق مواثيق على الاصل ومياثيق على المعاقبة. ويقال ضوّح اللبن وضيَّح اللبن اي مزجهُ بالماء وتوّههُ وتيّههُ وحوّضه وحيّضه والمواثر والمياثر وهي جلود السباع ومراكب تتخذ من الحرير والديباج. قلت ليست المعاقبة الاَّ من اختلاف القبائل فالذين يقولون مواثيق لا يقولون مياثيق بتةً وهذا الاختلاف لم يزل باقياً لعهدنا

(٢١) سَكِرٌ بفتح فكسر يجمع سكارى كما يجمع سكران وذلك لاعتقاب فَعِل وفَعلان كثيرًا على الكلمة الواحدة

(٢٢) الافعال المتعدية لا تكاد تقع مصادرها على فعول الاَّ شاذًا (اللسان في مادة غ ر ر)

(٢٣) قال الازهريّ ليس في كلام العرب افعل وفعلاء جُمعا على فِعال غير اعجف وعجفاء وهي شاذة حملوها على لفظ سمان فقالوا سمان وعجاف. وجاء افعل وفعلاء على فَعُل من باب كرُم في احرف معدودة منها عجُف وادم وسمُر وحمُق

(٢٤) أفعلتُ يجيءُ مكان فعَّلتُ مثل مهّلتهُ وأمهلتهُ ووصَّيتُ واوصيت واسقيتُ وسقَّيتُ (اللسان في مادة غ ف ل)

(٢٥) قال ابن برّي ومما يسأل عنهُ يقال كيف يصح ان يقال فزعتهُ بمعنى أغثتهُ متعدّيًا واسم الفاعل منهُ فعِل. وهذا انما جاء في نحو قولهم حذِرتهُ فانا حَذِرهُ واستشهد سيبويه عليهِ بقولهِ «حَذِرٌ اموراً» وردُّوا عليهِ وقالوا البيت مصنوع. وقال الجرميّ اصلهُ حذِرت منهُ فعُدّي باسقاط منهُ. قال وهذا لا يصحُّ في فزعتهُ بمعنى اغثتهُ ان يكون على تقدير مِن. وقد يجوز ان يكون فزِعٌ معدولاً عن فازع كما كان حذِر معدولاً عن حاذرٍ. فيكون مثل سمِعٌ معدولاً عن سامع فيتعدَّى بما تعدّى سامع. قال والصواب في هذا ان

فزعتهُ بمعني أغثتهُ بمعني فزعتُ لهُ ثم أُسقطت اللام لانهُ يقال فزعتهُ وفزعت لهُ قال « هذا هو الصحيح المعوَّل عليهِ » فيكون من باب الحذف والايصال

(٢٦) قد يُستعمل المصدر بمنزلة الجمع يقال الفِطر : القوم المفطرون . وقوم فِطر وصف بالمصدر ومثلهُ النَّوْح : النساءُ يجتمعنَ للحزن ونساءٌ نَوْحٌ اي نوائح . والنوْب بمعنى النوَّاب تقول هؤُلاء نَوْبُ القاضي اي نُوَّابهُ

(٢٧) قد يجعلون الالف التي اصلها واوٌ ياءً لقلتها في الفعل. قال الكسائي « وربما قالوا قطيات (١) ولهيات في جمع قطاة ولهاة لانَّ فعلتُ منهما ليس بكثير فيجعلون الالف التي اصلها واوٌ ياءً لقلتها في الفعل . قال ولا يقولون في غزوات غزيات لان غزوت اغزو كثير معروف في الكلام (الصحاح في مادة ق ط و)

(٢٨) اذا تتابعت كلمتان وعُقّبت الاخيرة بالضبط بلا تخصيص كان الضبط لها قال ابن منظور عَيْنًا وعَيَانًا بالتحريك (اللسان في مادة ع ي ن) فقولهُ بالتحريك مختص بعيَانا لا شامل لهُ ولما قبلهُ

(٢٩) قال ابن برّيّ قلَّ ان تجد في كلام العرب ما كان لفلان ان يُضرب على ان يكون مبنيًّا للمفعول وانما تجدهُ مبنيًّا للفاعل كقولك ما كان لمؤمنٍ ان يكذب وما كان لنبيٍّ ان يخون وما كان لمحرم (٢) ان يلبس « اللسان في ترجمة غ ل ل »

(٣٠) ان المصدر الوارد على وزن تفعال انما يراد بهِ التكثير قال في اللسان هذا باب ما يكثر فيهِ المصدر من فعَلت فتلحق الزوائد وتبنيهِ بناءً آخر كما انك قلت في فعلت فعَّلت حين كثَّرت الفعل ثم ذكرت المصادر التي جاءت على التفعال كالتصفاق « مادة ص ف ق »

(٣١) ذهب قدماءُ اهل اللغة الى ان المشاركة في اكثر الحروف اشتقاق يدور عليهِ معنى المادّة فيتّحد اصل معناها و يتغاير في بعض الوجوه كما هو صنيع صاحب التهذيب والعين وغيرهما . وفي التاج " قال شيخنا الفَلْح وما يشاركهُ كالفلق والفلد والفلذ ونحو ذلك يدلُّ على الشقّ والفتح كما في الكشّاف وصرّح بهِ الراغب وغيرهُ (التاج في مادة ف ل ح)

(٣٢) ان الصفة الموازنة أفعل انما تكون من باب فَعِلَ يَفْعَلُ وزان فَرِح يَفرَح واما اشيب فهو وصف من شاب رأسهُ يشيب شيباً وشَيبة ولا فعلاء لهُ فلا يقال شَيباء بل يقال

---

(١) القطا : طائر يضرب بهِ المثل في الهداية واحدهُ قطاة وجمعها قطيات

(٢) المحرم : الذي يدخل في الحرم وهو حرم مكة والمراد بهِ مواضع معروفة محددة خارجها حلّ وداخلها حرم

شمطاء وهو على غير قياس (الجوهري في ترجمة ش ي ب)

(٣٣) من سنن العرب انهم يقولون لمن يُكثر الشيء خُلِق منهُ كما تقول خلقت من لعبٍ لمن تبالغ في وصفهِ باللعب

(٣٤) وزن فعل كفرح يدلُّ على انَّ الشيء من اصل الخلقة يقال ضلع البعير اذا غمز خلقةً وضلع كمنع اذا لم يكن خلقةً

(٣٥) وزن فعلة بكسر فسكون يجيءُ تارةً اسم مصدر من فاعل كالعشرة من عاشر وتارةً من افتعل كالقسمة من اقتسم

(٣٦) ليس في كلام العرب شين بعد لام انما الشينات كلها في كلامهم قبل اللامات "اللسان في مادة ق ل ش" ذلك ما عدا العلّوش (١) واللش واللشلاش

(٣٧) جمع فَعْل صفةً على فُعَلاء انما يكون ذلك على توهم فعيل كندب ونُدَباء وسمح وسمحاء "التاج في مادّة ن د ب"

(٣٨) قال في التهذيب "كل فِعلةٍ او فِعلةٍ او فُعلة من باب التضعيف فانها تُجمَع على فعائل من ذلك الكنائن جمع الكنّة وهي امرأة الابن والنساء الحرائر جمع الحرة والشدائد لمكاره الدهر جمع الشدّة والضرائر جمع الضرّة والمرائر جمع المرّة تقول شجرة مرّة وشجرٌ مرائر

(٣٩) ان العرب ربما تصرفوا في اللفظة ولا داعي الى ذلك الَّا التفرقة ومنهُ (١) نشيان للخبر. ونشوان من السكر قالوا الاول بالياء تفرقةً بينهما (٢) كل بيضٍ يكتب بالضاد الَّا بيض النمل فبالظاء (٣) غلط في الكتاب وغلت في الحساب

(٤٠) اذا غلبت الاسميَّة على الصفة تكسّر تكسير ما يوازنها من الاسماء قال في التاج في مادة «ح و ط» الَّا ان حائطاً قد غلب عليهِ الاسم فحكمهُ ان يكسَّر على ما يكسر عليهِ فاعل اذا كان اسماً وعن الليث «اذا جعلت الاجدل نعتاً قلت صقرٌ اجدل وصقورٌ جُدْل. واذا تركتهُ اسماً للصقر قلت هذا الاجدل وهذه الاجادل لان الاسماء التي على أفعل تجمع على فُعْل اذا نعت بها فاذا جعلتها اسماء محضةً جمعت على افاعل كقولهِ « يخوتون (٢) أُخرى القوم خوت الاجادل

(٤١) المفاعلة انما تكون مأخوذة من مصدر مثل المضاربة والمقاتلة ولا تكون مأخوذة من الاسماء غير المصادر ألا ترى انهُ لا يحسن ان يقال في الاثنين اذا اكلا خبزاً بينهما

---

(١) العلوش : الذئب واللشّ : السماق واللشلاش المضطرب الاحشاء يقال لشلش الرجلُ: اذا اكثر التردُّد لفزعهِ واضطربت احشاؤهُ في موضع بعد موضع (٢) يخوتون اي ينقضون

مخابزة ولا اذا اكلا لحمًا بينهما ملاحمة (اللسان في مادة م ل ح) قلت مع ذلك جاء عاملةُ مزامنةً من الزمن ومشاهرةً من الشهر

(٤٢) قال الفيومي "كلام العرب المعروف عندهم اولى من مقاييس المولدين" (المصباح في ترجمة غ ذ و)

(٤٣) قال كراع " ليس في الكلام اسم داء مشتق من اسم العضو الَّا القُلاب من القلب والكباد من الكبد والنكاف من النكفتين وهما غدّتان تكتنفان الحلقوم من اصل اللحي " التاج في ترجمة ق ل ب "

(٤٤) ان وجود صيغ المشتقّات كاسم الفاعل دليل على وجود الفعل واذا وجد الاسم فذلك دليل على جواز الاشتقاق منهُ فاذا ذكرت المعجمات اسم الفاعل ولم تزد كان لك ان تستعمل الفعل المأخوذ منهُ وان لم يذكر الَّا ان نُصَّ على انهُ لا فعل لهُ ويؤيد ذلك قولهم " هذا التمر اصقر من هذا " اي اكثر صقرًا (١) حكاهُ ابو حنيفة وان لم يكن لهُ فعل " التاج في ترجمة ص ق ر " وقول ابن منظور " فاما قول بعضهم في المفعول مفدح فلا وجه لهُ لانَّا لا نعلم افدح "

(٤٥) قد ورد في المعجمات جموع لم يذكر لها مفرد ولم ينبه على عدم وجودهِ من ذلك الزُنخ والزُنُق والسُهُم والسحُم والسقُف وكلها مضمومة الاول والثاني والاسهان (٢)

(٤٦) قد جاء في كتب اللغة جموع نُبّه على انها بلا مفرد منها (١) التساخين : الخفاف و(٢) التعاشيب وهي الضروب من النبت وقال ابو حنيفة التعاشيب هي القطع المتفرقة منهُ و(٣) المسامع جميع خروق الانسان ولا يفرد واحدها و(٤) والأَسا هي : الالوان لا واحد لها و(٥) الصلافح : الدراهم لا واحد لها

سعيد الخوري الشرتوني

---

(١) اي اكثر عسلاً (٢) الزنخ : الذين يكافئون على الخير والشر والزنق : العقول التامة والسهم: العقلاء الحكماء والسحم : مطارق الحداد والاسهان : الرمال اللينة

رأس المال والربا

الحالة المالية المصرية

يليق بنا بعد ما ذكرنا مبادئ المال ورباهُ اخذاً عن احد مشاهير علماء الاقتصاد ان ننظر نظرة اجمالية في ما بلغت اليهِ الحالة المالية في مصر الآن. فقد ورد من جملة تلك المبادىء ان ارتفاع معدل الربا يكون وسيلة لازدياد رأس المال فيغري الناس على التوفير اذ يجدون للمال الموفَّر ريعاً . وما نسي احد من سكان القطر ما بلغ اليهِ معدل الربا فيهِ في الايام الماضية وما كان يأتيهِ الصيارفة والمرابون من الحيل لسلب الفلاح من املاكهِ ولا زال بعضهم ينشبون اظافرهم بمال الفلاحين الى الآن بالرغم من وجود البنوك التي سدَّت حاجة الاهالي وانجتهم من ظلم المرابين

ولم تكن الاستدانة سابقاً لاجل القيام بالمشروعات والاعمال الرابحة التي يثمر المال بواسطتها الاَّ نادراً وانما كان معظمها لاجل سد حاجة الفلاح في حين اعسارهِ ولهذا كانت الاستدانة كثيراً ما تفضي الى نقل ملكية الارض المرهونة الى الدائن . ولا يجهل احد ان سبب اعسار الفلاح في ذلك الحين عسف الحكومة وتقصيرها في خدمة الزراعة . ولاجل ذلك اقبل على القطر عددٌ عديد من المتمولين الاجانب واغتنموا الفرصة لتثمير اموالهم بالمراباة وقد مكنهم من ذلك ما لهم من الامتيازات التي صانت اموالهم في ايدي المديونين من جهة وحمتهم من عسف الحكومة من جهة اخرى. وكان من جراء ذلك ان جانباً من املاك البلاد انتقل من ايدي الاهالي الى ايدي المرابين . واما مالية البلاد عموماً او ثروتها الحقيقيَّة فلم تزد زيادة كبيرة لان الاموال التي اتت من الخارج لم تثمَّر بالاعمال والمشروعات العمرانية المستجدة وانما كانت وسيلة لنقل ملكية كثير من الاراضي الى ايدي المرابين كما تقدَّم بيانهُ

ولم يكن معدل الربا في ذلك الحين حقيقياً وانما كان معظمهُ يؤخذ بدعوى المخاطرة بالمال والحقيقة انهُ كان يُسلب سلباً بالخداع والتهويل على العقول ولو كانت الحكومة في ذلك الحين عادلة ورقيبة على المراباة لما تجاوز معدل الربا مقدارهُ الحالي . ومع ذلك كان ولم يزل معدل الربا الحقيقي في مصر اعلى منهُ في اكثر ممالك اوربا لعدم الثقة التامة وعدم الاطمئنان على ضمانة المال . ولان الحاجة الى المال لاجل المشروعات العظيمة ازدادت شيئاً فشيئاً

وغلاء معدَّل الربا اغرى الاجانب باستثمار اموالهم في هذا القطر واغرى الاهالي لكي يوفروا ويجمعوا مالاً للتثمير ولا يزال الامر كذلك حتى الآن لا سيما وان الحكومة تنظمت وساد

الامن على الاموال ولهذا نرى انهُ تؤَلف كل يوم شركة جديدة لمشروع عظيم مالي او زراعي والناس من اجانب ووطنيين يتهافتون الى شراء اسهمها فترتفع اسعارها حتى تفوق قيمتها الحقيقية واحياناً تبلغ ضعفيها وهذا يدل على وفرة المال بتوفر الثقة في القطر

ولا بدع ان يُقبل الاجانب باموالهم الى القطر ليثمروها فيهِ لان معدَّل ربحها هنا اكثر جدًّا منهُ في اوربا. ومتوسط هذا الربح في مصر نحو ٥ في المئة في حين انهُ في اوربا لا يتجاوز ٣ في المئة

والذي نظنهُ ان وفرة النقود الواردة من الخارج الى مصر بغية تثميرها ارخصت النقود في البلاد فتراءى للناس ان الاشياء غلت والحقيقة ان اسعار الاشياء لم تزل في تناسبها القديم تقريباً فما غلا اللحم حتى غلت المنازل وغلا الدقيق وغلت العمال الخ . فهي لم تغلُ بنسبة بعضها الى بعض وانما غلت بنسبتها الى النقود وحيث ان الاجور والرواتب ارتفعت ايضاً كسائر الاسعار فصار الاصح ان يقال ان النقود رخصت لوفرتها . والذي يؤيد لك وفرتها ان معدل الربا او ربح النقود ينحط عاماً بعد عام ولا ريب انهُ اقل منهُ قبلاً وان لم يزل اعلى منهُ في اوربا . والشيء لا يرخص الاَّ متى وفر

هذا من حيث اقبال الاموال الاجنبية الى البلاد ونتيجة تأثيرها في عمرانها . اما من حيث ازدياد ثروة الاهالي بسبب رغبتهم في التوفير فقد نصَّ عليهِ جناب اللورد كرومر في تقريرهِ الماضي تحت عنوان "توزيع الاطيان" فانهُ ادرج في هذا الفصل جدولاً ابان فيهِ عدد مُلاَّك الاطيان من كل فئة في عامي ١٩٠٠ و ١٩٠٤ وعدد الافدنة التي يمتلكونها. وبان من هذا الجدول ان عدد الملاَّك من الطبقتين السفلى والعليا زاد وزاد ايضاً عدد الافدنة التي يمتلكونها . واما عدد الملاَّك من اهل الطبقة الوسطى (الذين يملكون من ٥ — ٥٠ فداناً) فقلَّ وقل ما يملكون . ولذلك اسباب مختلفة لم يذكر غير واحدٍ منها وهو "تقسيم المواريث بحسب الشريعة الاسلامية لان تركة كل مالك تقسم بعد موتهِ على جميع ورثتهِ فبذلك يزداد عدد الملاَّك الاصاغر وينقص عدد الذين هم من الفئات التي فوق فئتهم . ولكن تأثير ذلك في الملاَّك الكبار اقل لاسباب لا تخفى على اللبيب"

ونظن ان هناك اسباباً اخرى اهمها اولاً ان كثيرين من اغنياء الطبقة الوسطى ازدادوا غنى فصاروا في عداد الطبقة الكبرى لسبب "ان المال يجرُّ المال". وثانياً ان كثيرين من العامة تعودوا التوفير بسبب ما جدَّ من انتظام مالية البلاد وحالة المعيشة وسهولة المعاملة ورواج المشروعات المالية وتسهيل التسليف في البنوك ونحو ذلك . وجعلوا يشترون الاراضي ولهذا ترى في الجدول المشار اليهِ آنفاً ان الذين يملكون ما دون الخمسة افدنة قد زاد عددهم

في السنين الاربع الاخيرة ١٧٠٦٧٥ وزاد عدد ما يملكون من الافدنة ١٠٠٠٣٣ ونصف ذلك مما زاد من الاطيان الزراعية في البلاد والنصف الآخر اشتروهُ من اهل الطبقة الوسطى

الربا والمرابحة

اتضح من المبادىء الاقتصاديَّة التي قررها المستر ووكر ان المراباة ليست الَّا نوعاً من المرابحة والدائن والمديون شريكان في مشروع واحد فالدائن يقدم المال والمديون يعمل بهِ يتقاسمان ثمرة المال والعمل المتحدين في انجاز المشروع . والمال محدود الفاعلية بمعنى ان المئة جنيه ليس لها الَّا قوة مئة جنيه اينما كانت وانما سعي المشتغل بها وعملهُ هما اللذان يزيدان فاعليتها او يقللانها فقد جُعلت حصة صاحب المال محدودة تؤخذ من صافي الربح والباقي اذا كان ثمت باقٍ يبقى للعامل جزاء مهارتهِ في العمل . فان لم يبقَ شيءٌ او لم يكن الربح كافياً للمال وجب ان يكملهُ العامل من مالهِ الخاص عقاباً لهُ على اقدامهِ على العمل برعونة او غباوة او على كسلهِ

ومن ذلك يتضح ان المال الموفَّر لا اهمية لهُ بحد ذاتهِ ولا يثمر شيئًا وحدهُ وكذلك العمل وحدهُ قليل الفاعلية بل عديمها في المشروعات الكبيرة خصوصاً . ولا بد من اتحادهما معاً لانجاز الاعمال العمرانية المفيدة ولاستخراج الثروة وهذا هو السبب في تقاسمهما الربح على نحو ما تقدَّم بيانهُ . فاذا لم يحسب للمال فائدة او رباً اي نصيب من الربح امتنع صاحبهُ عن تسليمهِ لصاحب العمل ليشتغل بهِ وبالتالي عدل عن التوفير وجمع المال . واذا تلاشى المال توقفت حركة الاعمال تدريجاً وتقهقر الناس الى عصر الهمجية

فترى مما تقدم ان للمراباة نفعاً عمرانياً عظيماً فهي مصدر من مصادر الحركة في الاعمال وليس فيها غبن او ظلم اذا سلك فيها مسلك الاستقامة وعليهِ لا تحرَّم باعتبار الشرائع الادبيَّة ولا يضطرب لها الضمير . واما تحريم الشرائع الدينية فليس لهذا النوع منها اي نوع المرابحة وانما لأخذ الربا من الفقير الذي استدان في ايام العسر او الإمحال لكي يقيت عيالهُ ويشتري بذارهُ على امل ان يوفي الدين في زمن الاقبال . مثل هذا يستحق رحمة المرابي الموسر ومن هذا حرَّمت الشرائع اخذ الربا . ولكن لو استنبط زيد مشروعاً خطيراً مفيداً لعمران البلاد وحركة العمل فيها ولاتساع فسحة الاسترزاق كمشروع الترامواي مثلاً وتأكد لهُ الربح الوفير منهُ ولم يكن عندهُ من المال ما يكفي هذا المشروع فاستدان من عمرو وبكر وخالد تتمة النفقة عليهِ بفائدة ٦ في المئة مثلاً وبعد انجاز المشروع وجد مئتهُ رابحة ٥٠ فهل يحرَّم على عمروٍ وبكرٍ وخالدٍ ان يأخذوا ٦ من كل ٥٠ من ارباح زيدٍ . واذا حرِّم عليهم ذلك

فلماذا يقرضونهُ المال واذا لم يكن للمال الموفَّر عندهم ثمرة فلماذا يوفرونهُ ويحرمون انفسهم التمتع بهِ. واذا لم يجد زيدٌ من يقرضهُ مالاً يستطيع انجاز مشروعهِ بهِ افلا تخسر الامة فوائد المشروع

اذا تدبَّر القارئ هذا الموضوع جيداً اتضح لهُ ان المراباة في دائرة الاشغال والاعمال ليست الَّا مرابحة محللة كسائر التجارات وبان لهُ خطاء الذين يقولون ان تثمير الاموال في البنوك وفي صندوق التوفير التابع لمصلحة البريد وفي الاسهم والشركات المالية المختلفة رباً محرَّمٌ. والحقيقة ان الربا المحرم هو الربا المأخوذ من الفقير بانتهاز فرصة ضيقهِ وفاقتهِ ليس الَّا . ولا مشاحة في ان الشرائع لم تحرّم الَّا هذا النوع من الربا والَّا لحرَّمت تثمير الاموال باي الطرق بلا استثناء

نقولا حداد

الكاهن والملك في مشهد التاريخ

عنيت منذ الحداثة بالتاريخ والجغرافية وترويض النفس في ابحاثهما. وقد شاقني التنقُّل على اجنحة الخيال في قرون التاريخ المتوالية واذا بهِ مشهد تمثيل يشغلهُ سرمداً الكاهن والملك نائبا الدين والسياسة وممثلاهما . وفي هاتين الدائرتين تنحصر الحوادث والوقائع التاريخية . واولى المسائل التي خطرت في بالي هي أطبيعيٌّ وجودهما ام وضعيٌّ . فاستعنتُ على حلها بالتاريخ لانها مسألة تاريخيَّة . وارسلت النظر في تاريخ اوربا منذ نشأتها واذا بالملك والكاهن يشغلان مشهدهُ . ثمَّ لويت عنان البحث الى تاريخ اسيا مهد التمدُّن ومسقط رأس العمران واوغلت في شعابهِ الهنديَّة والفارسيَّة والكلدانيَّة والاشوريَّة والمصريَّة متقصياً البحث فيها واذا بالكاهن والملك محور الحوادث ومدار التاريخ. فايقنت ان الديانة والسياسة طبيعيتان في النوع . والامر واضح انهما يجريان مع الامم في ارتقائها وانحطاطها فقد بلغ بعضها شأواً رفيعاً في المدنيَّة والآداب كاليونان والرومان والكاهن والملك يجريان معهما في ميدان التاريخ وانحط بعضها الى ادنى دركات التوحش والهمجيَّة كزنوج افريقية وهنود اميركا وفي هذا المحيط نرى الكاهن والملك حافظين نسبتهما الى الهيئة الاجتماعية. فوضح لي انهُ توجد نسبة ثابتة بينهما وبين نوع الانسان فيرقيان معهُ وينحطان معهُ فهما منهُ ولهُ وبهِ . ولا ريب في كثرة تنوعاتهما وتكيفاتهما شأن الممثلين الذين يغيرون ملابسهم وينوعون اصواتهم وفقاً لما يمثلونهُ فتارة يظهر الملك بمظهر الاستبداد والعنف لارهاب الجمهور . وطوراً يظهر في صورة اللطف والرقَّة لسرورهم وهنائهم. وطوراً يتنسَّم الكاهن عرش العظمة والربوبيَّة مقيداً الناس في قيامهم

وقعودهم وحلهم وترحالهم وحياتهم وموتهم . والآخر يتصاغر كاحقر خدام الانسانية. ولا نهاية لتلوناتهما فكأنهما خلقا ليلائما الجنس البشري في جميع رحلاتهِ في كل الاماكن والعصور . على ان حقيقتهما واحدة امساً واليوم والى نهاية العالم

والظاهر انهما ابديان في مشهد التاريخ . فاذا نبذتهما الامم اليوم عادت اليهما غداً لا لقدميتهما ولا لنقص في الهيئة الاجتماعيَّة بل لارتباط مصالح الافراد والجمهور بهما في الحياة الدنيا والاخرى . فالعمران وهو ثمرة الطبع البشري يفتقر الى الوازع القانوني لردع القوي عن الضعيف ولقيادة رأي الامَّة العمومي او تنشيطها في مشروعاتها الادبيَّة وحفظ كيانها . فلا غنى عن الحكومة ملكية كانت او جمهورية مطلقةً ام مقيَّدة باختيار الشعب ام بنعمة الله . وقد صوَّر توما كارليل في كتاب " الثورة الفرنسية " نشأة الملك هكذا قال " لما كان افراد النوع الانساني غايةً في الهمجية وشرعوا ينازعون بعضهم بعضاً اسباب العيش آل الامر الى تألُّبهم جماعات اصطلت بينها نيران الحروب هجوماً ودفاعاً . فلدى تقدُّم الجماعة الى الميدان او حين رجوعها منهُ ظافرة رفعت عينيها الى الممتاز فيها بالبأس والبراعة ودعتهُ للملك عليها . ثم شادت لهُ في وسطها عرشاً رفيعاً وناطت بهِ امورها فاصبح محور اعمالها ومحط آمالها وكعبة قصادها ونقطة دائرتها . تؤيد ذلك كلمة ملك في الانكليزية فان معناها الاصلي الرجل المقتدر " . انتهى كلام كارليل وهو من المبرزين في التأليف والفلسفة المعروفي المقام في امَّة الانكليز

ولا يبعد رأي كارليل عن الصواب فان الانتخاب كان صفة الملك الاصلية ثم صار وراثيًا . ففي دولة الاسلام كانت الخلافة اولاً برأي الامَّة والامر بينهم شورى واول من اوصى بها لابنهِ معاوية بعد ما توالى على عرشها خمسة منهم . وكذلك كانت دولة العبرانيين في ايام القضاة ولم تنشإِ السلالة الملكية الى ايام داود النبي بعد تنظيم الامة بخمس مئة سنة وقس على ذلك اليونان والرومان في بداية نشأتهم . والملك الانتخابي اقرب الى الحق والطبع من الوراثي . ولكن الوراثي اميل للتغلُّب في التاريخ

والدين كالسياسة بالنسبة الى طبيعة الانسان الروحية. وقد بيَّن العلاَّمة كيزو في خطبهِ " تاريخ التمدُّن الاوربي " التي تلاها امام المجمع الفرنسوي سنة ١٨٢٨ نشأة الدين قال " ان في الطبيعة البشرية وفي معاد البشر مسائل حلها غريب عن هذا العالم ومتعلق بامور غريبة عن العالم المحسوس تقلق نفس الانسان وتعذّبها عذاباً شديداً ... وان تمييز الخير من الشر ووجوب فعل الخير وترك الشر قواعد يجدها الانسان في نفس طبيعتهِ كما يجد قواعد المنطق

ومبادئها موءسسة فيهِ كما انهُ من دأْبهِ السلوك بها مدة حياتهِ الحاضرة . فالمسائل العديدة التي في طبيعتنا من جهة وضرورة البحث عن اصل الاخلاق الادبية من جهة اخرى هما ينابيع الديانة بالتأْكيد ". وفي ذلك اذا اعتبرناهُ ما يثبت فطرية الدين في الانسان ولذلك اعتبر حيوانًا دينيًا . فتركهُ الدين خروج عن منهج الطبع ومنافاة للمعهود منهُ في كل اجيالهِ

والخلاصة ان الداعي للسلطة السياسية ميل الانسان الفطري الى الاجتماع . وموجب التدين طبيعتهُ الروحية . ولما كانت الطبيعة الروحية القائمة على الخصوص بالعواطف القلبية جزءًا حقيقيًا من الاقنوم الانساني الذي من شأْنهِ الميل الى النظام في كل اعمالهِ نشأَت السلطة الروحية المرافقة الانسانية في مراحلها التاريخية كالسلطة الزمنية . ولما كان موضوع الاثنتين الانسان كثرت نقط التماس والتقاطع في خطوطهما . وعن ذلك نشأَت الفصول الآتية التي يمثلها الكاهن نائب الدين والملك نائب السياسة . وقد رأيت جميع اعمالهما التمثيلية محصورة في اربعة فصول

الاوَّل في سيادة الكاهن على الملك
الثاني في سيادة الملك على الكاهن
الثالث في اتحاد الملك والكاهن
الرابع في انفصالهما كلٌّ عن الاخر

في سيادة الكاهن على الملك

لدى رفع الستار عن المشهد التاريخي ظهر الكاهن متشحًا بالعظمة والجلال جالسًا في اعلى ذرى الفخامة والمجد وبجانبهِ اخوهُ الصغير — الملك — يرمقهُ بعين المهابة والتوقير ولسان حالهِ يقول " هل لي ان ابلغ منزلة اخي في المستقبل " وكيفية وجودهما كانت كما يأْتي : ان اقدم التواريخ المكتتبة عن اصل الجنس البشري ينبئنا انهُ كان في الاصل موءلفًا من عائلة واحدة اعضاؤُها ثمانية والدان وثلاثة اخوة ونساؤُهم . وكان الوالد — نوح — كاهن العائلة وملكها فكان الملك والكهنوت مجتمعين في شخص واحد . وقبل موتهِ قلَّد كلًّا من اولادهِ وظيفة خاصة . فقلد ساماً الكهنوت لانهُ الاكبر . ويافث الملك . وحاماً بالخضوع لهما . وقد تضمنت ذلك نبوتهُ الشهيرة وهي

" مبارك الرب اله سام "	اشارة الى انهُ كاهن	تكوين ٩ : ٢٦
" ليفتح الرب ليافث فيسكن في مساكن سام "	" " ملك	
" وليكن كنعان عبدًا لهم "	" " خاضع لهما	

فهنا سام وحام ويافث نواب الجنس البشري . فقد انقسم الجنس الى ثلاث فئات خدَمة الدين . والحكام . والرعية . وكانت ذريَّة سام منشأ الاديان كاليهوديَّة والاسلاميَّة والمسيحيَّة والبوذيَّة وذريَّة يافث منبت الدول الحاكمة الآن . ومع انها سُبقت ببعض الدول من سلالة سام كالكلدان والاشوريين ومن سلالة حام كالمصريين فقد فتح الله ليافث فغلبها جميعاً طبقاً لنبوة نوح . ومن ذريَّة يافث سكان اوربا واميركا والفرس والتتر وفيهم القوة الحاكمة

ثم ان سيادة الدين على السياسة في العالم القديم امر تؤَيدهُ كل التقاليد والآثار البشريَّة . ومن الدلائل على ذلك اننا لا نرى تقليد امة خالياً من الحاق اصلها بالآلهة فيستفاد من ذلك قدمية الفكر الديني وقدمية السيادة الدينية في المجتمع الانساني . ومنها سطوة رهط الدين في بدء التاريخ على الدوائر السياسية فقدكان مجمع مفكيتون يدير دفة السياسة اليونانية . ومنها تديُّن اقدم الملوك المعروفين وادعاؤُهم بالمناجاة الروحية قبل الحرب وبعدها ونسبتهم فوزهم الى العناية الالهية كما هو واضح في آثار الاشوريين والعبرانيين . ومنها استثناء الكهنة في اقدم الدول مما فرض على الرعية . فاننا نقرأُ في التوراة انهُ لما امحلت ارض مصر وعضت الناس انياب المجاعة اتوا الى يوسف وباعوهُ اراضيهم لاجل الخبز الاَّ الكهنة فكانت اعالتهم مما فرض على الملك وبقيت اراضيهم لهم . قال الاستاذ بورتر في تاريخهِ النهج القويم ” ان الطبقة الاولى بين المصريين هي الكهنة الذين كانت صولتهم على الناس عظيمة جدًّا . وكانت لهم امتيازات كثيرة . وكان الملك احيانًا يجعل نفسهُ منهم . وعيَّن لهم ثلث ارض مصر فملكوهُ بلا إتاوة ولهم من الخزانة الملكية رواتب فوق ذلك “ . وجاء في التوراة ان يوسف لما رقي الى ذرى المجد وجلس بجانب فرعون كان من مظاهر اكرامهِ تزويجهُ باسنات بنت فوطي فارع كاهن اون . وجاء في النهج القويم ان كهنة مصر اخبروا هيرودوتس ان دولةً من الالهة ملكت مصر قروناً كثيرة قبل ايام مينيس

ولا يخفى على كل من قرأ التاريخ اليوناني ما كان لمعبد دلفي من السلطة على افكار اليونان . فلم يكونوا يعقدون او يحلون الاَّ بحسب ايعازهِ ولم يجرأُوا على تكذيب نبواتهِ المبهمة بل كانوا يؤَولونها بحسب الاحوال حرصاً على شرف الآلهة . كل ذلك من الامارات التي ترجح سيادة الدين قديماً . وهكذا كان الحال في بدء الدولة الرومانيَّة والعبرانيَّة والاسلاميَّة وغيرها من الامم العظام . وكل من قرأ التاريخ يرى ان سيادة الدين هي الصفة الاصلية للمجتمع الانساني . وذلك من مؤَيدات القول بغريزيَّة الدين في الطبع البشري . ولما كان

الملك ينتخب انتخاباً في الغالب كان ينصَّب باحتفالٍ ديني ويلتمس من عالم الالهة اطالة ايامهِ ونجاح ملكهِ فكان خضوعهُ للكاهن مما لا بدَّ منهُ

في سيادة الملك على الكاهن

حدثت في هذا الفصل معارك هائلة بين الكاهن والملك انتهت بسيادة الملك على الكاهن. رأيناهما في الفصل الاول اخوين ودودين اتفقا على خدمة الانسانية ونراهما في الفصل الثاني عدوين لدودين يعملان على دمارها. فقد خلف اتحادهما الشقاق وسلامهما الخصام. وشرح ذلك كان على ما يأتي: توفي سام ويافث وتوارثت انسال كلٍّ منهما ما كان لهُ من الخصائص والمزايا. وورث بنو حام الخضوع لهما وامتثال اوامرهما في الارضيات والسمويات. على ان الجنس البشري لا يميل الى السكون وحقًّا انهُ لا سكون في عالم الهيولى وذلك ثابت من الطبيعيات. فالزوابع والاعاصير انما هي مظاهر شديدة لحركة الدقائق المادية المستمرَّة. والثورات والحروب والانقلابات السياسية والاجتماعية اعراض الحركة البشرية في مشهد الدين والسياسة

قد اتصف سام — الكاهن — في البداية بالطهر والعفاف اللائقين بمنزلتهِ السامية. على ان الفساد ظهر سريعاً في نسلهِ فشرعوا يحيدون عن سواء السبيل واتخذوا منزلتهم وسيلة لاحراز مشتهياتهم. فاضحت دائرة الدين عش الدعارة ووكر الباطل بعد ان كانت منبت الصَّلاح ومنبعث الهدى وقد ربا فسادهم حتى اتَّصل بعالم الآلهة. فنسب اليونان الى الهتهم الادواء الادبية المتفشية في البشر كالغش والحسد والسرقة. وامست عباداتهم وهياكلهم مغرس الغي ففي هيكل الاهة الحب في افسس كانت ثلاثة آلاف من العذارى حابساتٍ انفسهنَّ لارتكاب المنكر ارضاء لتلك الالاهة

ومع ان الشعب اطَّلع على معايب الكهنة وفظائعهم لم يتجرَّأ على التنديد بها حفظاً لكرامتهم ورهبةً من غضبهم. ويندر ان يتجاسر العبد على انكار ما يأتيهِ سيدهُ ولو كان من شر المنكرات فظل الرئيس الديني مكرماً لدى العامَّة ولو خلا من الفضائل الشخصية. ومن المعلوم ان اشتغال الرعية بواجباتها اليومية وافتقارها الى الكهنة في امور كثيرة وتباينها ذكاءً وارتقاءً وتعسُّر جمع كلمتها الى غير ذلك من الاسباب تضطرها الى السكوت عن نقائص رؤَسائها الروحيين وتثبط عزائمها عن تفنيدها

على ان رقيب الكاهن الجريء هو الملك وقد بلغ رشدهُ في الطور الثاني من اطوار العمران وعلم قدر نفسهِ ونسبتهُ الى الهيئة الاجتماعية. ورسخت في ساحة الملك قدمهُ واعتزَّت

نفسهُ بما الفهُ من خضوع الناس لهُ وعملهم باوامرهِ . فاصبح طوداً راسخاً لا تزعزعهُ رياح الاوهام والتخرُّصات . وقد سمت مداركهُ واتسع نطاق اختبارهِ لاشتغالهِ بالمصالح العامَّة وفهم ان اخاهُ الكاهن الرفيع الشان ليس الاَّ احد افراد رعيتهِ المؤْتمرين بامرهِ . فلما رأَى منهُ من ضروب المنكرات ما لا يحسن السكوت عليهِ حقَّرهُ باطناً ثمَّ كاشفهُ بما يكنُّهُ من نحوهِ وانذرهُ بسوءِ المصير اذا لم يعتبر الشرائع المدنية . فذهل الكاهن من تلك الجسارة التي لم يعهدها في اخيهِ الصغير . فاقام عليهِ الحجَّة بقحة خارقة ادهشت الجمهور . فلم يعبأْ هذا بهِ بل عوَّل على التضييق عليهِ فزاد الكاهن هياجاً واستصرخ العوام واستنجد العجائز متشبثاً بالتقاليد القديمة ولما يئس من كل الوسائل لجأ الى الحرم واللعنات وانذر الملك بالويل والثبور وعظائم الامور ولم يلقِ سلاحهُ حتى ادهش اهل الارض والسماء بما اثارهُ من نقيع المعارك الدمويَّة التي يشيب لها الولدان . فوضح للجمهور انهُ لا اردأ من رؤَساء الدين اذا فسدوا . ومن هنا نشأَ الكفر وصار يهدّد دولة الدين بالانقلاب

ان التنازع بين الدين والسياسة يشغل الدائرة الوسعى في مشهد التاريخ العام وهو من اقدم حوادث العمران وما زالت نيرانهُ تستعر الى هذه الساعة . وقد كان علَّة ما لا يحصى من نكبات الانسانية وارزائها . وكأَني بوقائعها ملازمة الجنس البشري في رحلاتهِ منذ ابتداء العالم الى الآن . جاء في تاريخ هيرودوتس "ان مينيس اول ملوك الدولة الاولى المصرية ادخل في البلاد عوائد جديدة وابطل العوائد القديمة فعظم ذلك على المصريين فلعنهُ بعض من خلفوهُ كأَنهُ جلب غضب الالهة على المملكة" . قال الاستاذ بورتر معقباً على ذلك . "ولعل العلة الصحيحة انهُ رقَّى شأن نفسهِ وحطَّ شأن الكهنة شيئاً"

وتاريخ العصور المظلمة مشحون بصور النضال الطويل بين رؤَساء الدين والحكَّام الزمنيين واذا بحثنا فيهِ رأَيناهُ محصوراً في كبرياء الاولين وعنفوان الآخرين وتعارض اطماع الفريقين وجوهرهُ العام حبُّ الرئاسة . فاصطلت بين الفريقين نيران الحروب التي اودت بسعادة الجمهور وأُلصقت بالتاريخ البشري عاراً لا يمحى واجرت في اقطار اوربا انهاراً من الدماء الزكية . فاصبح التاريخ من موت شارلمان الى ختام الفتن الدينية في المانيا مشهداً تتفطَّر لهُ الاكباد . وكان الجمهور العوبةً تتداولها ايدي الفريقين فاذا قام الملك على الكاهن فعدَّتهُ الجمهور واذا ثار هذا على الكاهن تسلَّح بالجمهور فقد وقف الجمهور نفسهُ للانسياق برياح الاهواء بينهما

اما نتائج تلك الملاحم فكانت في البداية جارية على الناموس الطبيعي العام — الفوز حليف القوَّة — فحين تكون القوَّة في جانب الكاهن يغلب الملك والضد بالضد . على انَّ من تدبَّر

التاريخ بعين نقَّادة رآهُ جاريًا نحو نقطة معينة . فاذا حال دون وصولهِ اليها حائل يدور حولهُ ويتجه نحو تلك النقطة كأنهُ مقودٌ بيدٍ عاقلة

ويمكننا اتخاذ وقائع البابويَّة مع ملوك اوربا مثالاً لذلك (لان للبابويَّة اكمل مثال للنظام الديني القانوني) ولا سيما لما رقي غريغوريوس السابع عرش الحبريَّة فانهُ قصد اخضاع ملوك اوربا قائلاً ان الله رمز بالنورين العظيمين المذكورين في بدء الخليقة الى صاحبي المشهد التاريخي الكاهن والملك فاوجب حفظ النسبة بينهما بحيث يكون الكاهن شمس الهيئة الاجتماعية ومصدر سلطة الملك كما ان الشمس مصدر نور القمر وحرارتهِ. ففرض على الملوك فروضاً غريبة ولما هبَّ هنري الرابع ملك المانيا لمقاومتهِ وجد نفسهُ "كناطحٍ صخرة يوماً ليوهنها" . فحرمهُ البابا وافتى بخلعهِ فخرجت عليهِ الرعيَّة واضطر ان يقصد البابا صاغرًا ليسترحمهُ فوقف على بابهِ في قلعة كنوسا حافياً مكشوف الراس ثلاثة ايام بلياليها في ابرد ايام الشتاء . وما زالت الباباويَّة تتعاظم حتى بلغت اسمى ذراها في انوشنسيوس الثالث في ختام القرن الثاني عشر. فعزل ملك انكلترا سنة ١٢٠٨ وحرم ملك فرنسا سنة ١٢٠٩ وعزل امبراطور المانيا سنة ١٢١٥ ولكن

اذا تمَّ امرٌ بدا نقصهُ توقَّع زوالاً اذا قيل تمْ

واول ظواهر الضعف اهانة فيليب الرابع بونيفاشيوس الثامن ونقل الكرسي الباباوي الى افنيون وهو المسمى عندهم بالسبي البابلي لانهُ استمر سبعين سنة كسني سبي اليهود الى بابل. ومن ثمَّ توالت النكبات على الباباويَّة فظلت سلطتها الزمنية في هبوط حتى هجم غاريبلدي على رومية في ٢٠ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٧٠ وخلع البابا من الحكم الزمني . ومن الممكن اعتبار سقوط رومية خاتمة قانونية للمنازعات بين الكاهن والملك على السلطة الزمنية مدة تنيف عن خمسة الاف سنة

ان عواقب المنازعات المشار اليها وخيمة على الهيئة الاجتماعيَّة في كل زمان ومكان كما يتضح من كل التواريخ . فان خصومة اهالي كرًّا ومدينة دلفي — مقرّ الوحي اليوناني — اضرمت نيران " الحروب المقدسة " الاولى والثانية وبها تقطعت اوصال الامة اليونانية باسرها واُعدَّت للسقوط امام فيليب المكدوني سقوطاً ابديًّا فقوَّضت دعائم مجدها . هذا مثال من التاريخ القديم اما في الحديث فقد كان تعرض رجال الدين لمصالح الممالك الالمانية منذ انقسام مملكة شارلمان سبباً لتأخيرها عن اخواتها من ممالك الغرب اجيالاً طوالاً . ولما تخلصت منهُ ابرزت من آيات القوة والنشاط ما ادهش اوربا والعالم باسرهِ . ولا يخفى على متصفح التاريخ ما نشأ عن معارضة الكهنة سير المدنية من النوازل الفادحات . هذه افعالهم مع بطرس الاكبر المصلح الشهير وهو اجل مثال للملكية الناهضة فانهم لم يكفوا عن مقاومتهِ حتى

آل الامر الى اعدام ولي عهدهِ الكسيس الذي والاهم ضد ابيهِ المصلح العظيم. وهكذا فتن الالترومونتان في المانيا ضد الوحدة الالمانية التي اقلقت راحة الحكومة. ولولم تكن يد بسمارك قابضة على زمام الامور لنجح الخصوم وقوضوا دعائم اعظم الامبراطوريات في اوربا . ولم تحرز انكلترا المقام الرفيع في عالم الاداب والمدنية الاَّ بتخلصها العاجل من يد السلطة الدينية . وبعكس ذلك الدولة الاسبانية فقد امست في ادنى دركات الانحطاط بعد ما كانت سيدة الممالك وربة البحار . وقس على ذلك امبراطورية الصين وممالك الهند الوثنية . وقد توفرت في ايامنا الدلائل الحسية على اضرار الخرافات المتلبسة بالدين في احوال الامم وفي ذلك عبرة لاولي الالباب

باحث عصري

تاريخ الجزار

لم يكتب احد عن مصر والشام والعراق الاَّ قال انها مهد العمران نشأَت فيها الدول القديمة وقويت واستعزَّت وكان لاهاليها المقام الاسنى في كل مفخرة ثم اخنى عليها الدهرُ وانتابتها نوائب الايام فغادرتها على ما وجدناها عليهِ في اواسط القرن الماضي ليس فيها الاَّ آثار عظمتها السالفة من الانقاض والخرائب

وقد يقف الباحث الشرقي مدهوشاً من ارتقاء الاوربيين وهو يعلم انهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً لما كان العمران ضارباً اطنابهُ في بلادهِ ويحسب ان جبلَّة الناس تغيَّرت والاَّ لوجب ان يبقى السابقون سابقين في مضمار العمران لان ناموس الارتقاء يقضي بذلك ولكنهُ اذا علم ما حلَّ بالشرق منذ خمسة عشر قرناً الى الآن ولاسيما في القرن الاخير والذي قبلهُ انجلت لهُ اسباب هذا الانحطاط وعجب من مرونة الطبع البشري حتى يحتمل ما احتمل من الضغط ومن شدَّة تمسك الناس باهداب الحياة حتى لم ينقرضوا مع ما نزل بهم من النوازل

وصفنا في العام الماضي بعض ما حلَّ بسكان القطر المصري في آخر عهد المماليك ونحن واصفون الآن بعض ما حلَّ بسكان القطر السوري في نحو ذلك الوقت على يد والٍ من ولاتهِ اسمهُ احمد باشا الجزار اثباتاً لما قدَّمنا من ان عوامل التخريب بقيت تفعل في القطرين الى عهد قريب ولذلك لا نعجب اذا رأَينا الاوربيين سبقونا بمراحل لاننا بقينا حتى الامس في مرض عضال نتراوح بين الحياة والموت

احمد باشا الجزار ترجمهُ الجبرتي في تاريخهِ ولقبهُ "بالجناب المكرَّم والمشير المفخم الوزير

الكبير والدستور الشهير" كما كانت الدولة العلية تلقب وزراءها ولو كانوا من احقر الناس اصلاً وافسدهم سيرة وسريرة . وقال ان اصلهُ من بلاد البشناق وخدم عند علي باشا حكيم وحضر معهُ الى مصر في ولايتهِ الثانية سنة ١١٧١ ه فتشوّقت نفسهُ الى الحج واستأذن مخدومهُ فأذن لهُ في ذلك واوصى عليهِ امير الحج اذ ذاك صالح بك القاسمي فاخذهُ معهُ واكرمهُ وواساهُ رعاية لعلي باشا ورجع معهُ فوجد مخدومهُ قد انفصل عن ولاية مصر وسافر الى الديار الروسية ووصل نعيهُ بعد اربعة اشهر من ذهابهِ فاستمرَّ المترجم في مصر وتزيَّا بزي المصريين وخدم عبد الله بك تابع علي بك بلوط وتعلم الفروسية على طريق الاجناد المصرية . وارسل علي بك عبد الله بك بتجريدة الى عرب البحيرة فقتلوهُ فرجع المترجم مع باقي رجالهِ الى القاهرة فقلدهُ علي بك كشوفية البحيرة وقال لهُ ارجع الى الذين قتلوا استاذك وخذ بثارهِ فذهب اليهم وخادعهم وجمعهم في مكان وقتلهم وهم نيف وسبعون كبيرًا ومن ذلك لُقِّب بالجزار "..

ثم ذكر ان علي بك طلب من الجزار ان يعاونهُ على الغدر بصالح بك فاوجس شرًّا وتنكَّر وخرج من مصر هاربًا في شكل رجل جزائرلي ومضى الى بلاد الروم ثم عاد الى البحيرة واقام مع عرب الهنادي وتزوَّج هناك ثم سار الى بلاد الشام واشتهر امرهُ في تلك النواحي وقُلِّد الوزارة واقام في حصن عكاء وعمَّر اسوارها وقلاعها واتخذ لهُ جندًا كثيفًا واستكثر من شراء المماليك وحارب جبل الدروز مرارًا وغنم منهم اموالاً عظيمة وضربَ عليهم وعلى غيرهم الضرائب وجُبِيت اليهِ الاموال من كل ناحية حتى ملأَ الخزائن وكنز الكنوز وصار يصانع اهل الدولة ورجال السلطة ويتابع ارسال الهدايا والاموال وتقلَّد ولاية بلاد الشام وولى عليها نوَّابًا وحكامًا وطلع بالحج الشامي مرارًا وعاقب على الذنب الصغير بالقتل والحبس والتمثيل وقطع الآذان والاطراف ولم يغفر زلة عالم لعلمهِ او ذي جاهٍ لوجاهتهِ وسلب النعم عن كثيرين من ذوي النعم واستصفى اقوالهم ومات في سجونهِ ما لا يحصى من الاعيان والعلماء . انتهى ملخصًا

وقد جرى الجبرتي على خطتهِ وانصافهِ من ذكر الحسنات والسيئات حتى كأنهُ مؤلف عصري يكتب الآن في حاضرة مملكة من الممالك الاوربية لا في بلاد مصر ولا في عهد المماليك

وذكر الشيخ طنوس الشدياق في تاريخ لبنان سنة ١٧٧٠ ان فيها قدم الى الامير يوسف الشهابي والي جبل لبنان رجل بشناقي يسمَّى احمد الجزار هاربًا من علي بك والي مصر فرحَّب بهِ الامير واكرمهُ وابقاهُ عندهُ في دير القمر اياماً ثم بعثهُ الى بيروت ورتَّب لهُ نفقة من كمركها فاقام في المدينة اياماً ثم سار الى دمشق وخدم واليها عثمان باشا . ثم قدم مدبر عثمان

باشا الى بيروت بعسكر كبير ومعهُ الجزار فاختار الامير يوسف ان يجعل الجزار متسلماً من قبلهِ في بيروت وان تبقى عندهُ طائفة المغاربة فحذَّرهُ المدبر من عاقبة امرهِ وبقي الجزار متسلماً في بيروت وعاد المدبر بعسكرهِ الى دمشق والامير يوسف الى دير القمر . ولم تطل المدة حتى خرج الجزار على الامير يوسف وشرع في عمارة السور المتهدم وطفق يهيئ الميرة وآلات الحرب للحصار ويمنع اهل البلاد من الدخول الى المدينة ولا يدع شيئاً يخرج منها . ولما بلغ الامير ذلك ثبت لهُ عصيانهُ فجمع عسكرًا واتى اليهِ قاصدًا اخراجهُ من بيروت فنزل في بعبدا وجعل يراسلهُ ويذكر الصنيع الذي اصطنعهُ معهُ . فطلب الجزار الاجتماع بالامير وكتب اليهِ ان يحضر بنفر قليل الى قرب المدينة ليخرج اليهِ ويخاطبهُ مشافهةً فحضر الى المُصَيطبة قرب المدينة وخرج الجزار باصحابهِ لمقابلتهِ واظهر لهُ التواضع والتلطُّف واقنعهُ انهُ لا يروم الخروج عن طاعتهِ واستماح منهُ ان يمهلهُ اربعين يوماً فيخرج من المدينة ويسلمها لهُ . فاغترَّ الامير بذلك واجاب سؤَال الجزار وعاد راجعاً الى دير القمر فاخذ الجزار يحصن بيروت حتى اذا مضت الاربعون يوماً جاهر بالعصيان . فاستعان عليهِ الامير بظاهر العمر والسفن الروسية الحربيَّة التي كانت في بحر الروم تحت امرهِ فحاصرتها السفن برًّا وبحرًا واطلقت عليها المدافع نهارًا وليلاً ودام الحصار اربعة اشهر واخيرًا تم الصلح على ان يخرج الجزار منها برجالهِ فعادت للامير يوسف

واشار الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ الكبير الى اول مجيء الجزار بقولهِ وفي هذه السنة (١٧٧١) حضر الى دير القمر احمد بك الجزار ومعهُ مملوكهُ سليم وعبده ابو الموت لاغير فاقام اياماً واكرمهُ الامير يوسف وارسلهُ الى بيروت فاقام بها اياماً وتوجه الى دمشق . ثم حضر ثانية مع الوالي خليل باشا ومعهما الف فارس ومدافع وزنبركات فالتقاهم الامير يوسف وجمع عساكر بلادهِ وساروا معهم الى حصار صيداء . وكأَنهُ كتب وهو يخشى صولة الجزار فلم يذكر شيئاً مما ذكرهُ غيرهُ عن كيفية اتصالهِ بالامير يوسف

واسهب الدكتور ميخائيل مشاقه في كلامهِ على الجزار واستبدادهِ قال ما خلاصتهُ

ان احمد باشا الجزار اصلهُ من البشناق حضر الى مصر وخدم امراءها ثم هرب الى بلاد الشام واتى دير القمر في لبنان ولم يكن فيها وقتئذٍ منزل للغرباء المسافرين سوى القهاوي فنزل في قهوة الميدان التي يطلُّ عليها مقعد الامير يوسف الشهابي الذي كان حاكم لبنان حينئذٍ فكان ينظر الجزار جالساً في القهوة وسأَل عنهُ فأُخبر انهُ غريب من الاتراك يتكلم العربيَّة بلغة مصر . ثم رأَى ان ليس عليهِ من الثياب ما يقيهِ من البرد وقيل لهُ انهُ باع ثيابهُ

ليشتري طعاماً فامر ان يطعموهُ من دارهِ ما دام في دير القمر

وكان مع الامير حينئذٍ الشيخ غندور الخوري فقال انهُ لو تيسر لهذا الرجل خدمة في السواحل يعيش منها ما صعد الى الجبل واشار على الامير ان يضمهُ اليهِ لعلهُ يستخدمهُ في بعض الشؤُون. فاستصوب الامير هذا الرأي واستدعى الجزار وسألهُ عن سبب حضورهِ الى دير القمر فقال انهُ كان عند احد السناجق في مصر والمماليك لا يرضون ان يخدم سيدهم من ليس منهم لئلاَّ يفوز عليهم فاضطرَّ ان يترك مصر ويأتي بلاد الشام فلم يجد خدمةً لا عند الزيادنة ولا عند المتاولة ولا عند والي صيداء. فقال لهُ الامير اني ابقيك في خدمتي واذا رأيت منك الامانة والاهلية ارتفعت درجتك عندي. وامر لهُ بكسوة لائقة وسلاح وركوبة وقطع لهُ علوفة واعطاهُ مكاناً لسكناهُ

وكان امراءُ لبنان يصيفون في دير القمر ويشتون في مدينة بيروت واظهر الجزار من الشجاعة والمهارة في خدمة الامير يوسف ما استحق عليهِ المدح ففوض اليهِ ادارة الاحكام في مدينة بيروت وجعل اهالي بيروت يثنون عليهِ امام الامير فزادت ثقتهُ بهِ. وقال للامير ذات يوم ان اسوار بيروت قد تهدمت ونحن لا نأمن غدر الدولة بنا ولا سيما في فصل الشتاء حينما تكون مشتباً فيها فاذا غشينا مركب واحد في ظلمة الليل فيهِ مئتا رجل لم نستطع مقاومتهُ. ثم استأذن الامير في ترميم اسوار المدينة بتسخير اهاليها واهاليها البلاد المجاوة لها. فشكرهُ الامير على اخلاصهِ لهُ وحسن نظرهِ في العواقب واذن لهُ في ترميم الاسوار والحصون فبذل الهمَّة في ذلك وكان يراقب العمل بنفسهِ فاتمهُ في وقت وجيز. وسرَّ الامير بذلك وانعم عليهِ بزيادة رتبتهِ. وسرَّ الشيخ غندور الخوري باصابة رأيهِ فيهِ وهما لا يدريان ما وراء ذلك من البلاء

وكان رجال الدولة يرسلون مكاتباتهم مع رسل يسمونهم بالتتار وكان التتاري النشيط يصل من دمشق الى القسطنطينيَّة في اسبوع واحد ويرجع في مثلهِ. وكان هؤُلاء التتار يمرون على مدينة بيروت في ذهابهم وايابهم فجعل الجزار يكرمهم ويحاسنهم ولا سيما اذا كانوا من مأموري الدولة اصحاب الوظائف العالية لانهم قد يكونون حائزين لرتب سامية اذا كان الامر الذي أُرسلوا فيهِ هاماً. وهو يتظاهر انهُ يفعل ذلك ليمدحوا الامير عند الوالي وفي باب الدولة فاشتهر بكرمهِ وحسن سياستهِ. ومرَّ بهِ احد القبوجيَّة ودار الحديث على احوال الولاية فاظهر الجزار الاستغراب من ان الدولة ترضى بان واليها يبقى محصوراً في مدينة صيداء كأنهُ لا يمتلك غيرها والولاية كلها خاضعة لرؤَساء العشائر يتمتعون بخيراتها. فقال القبوجي

ان قهر رؤَساء العشائر يقتضي حروباً كثيرة ونفقات طائلة والنتيجة لا توازي التعب والنفقة. فقال الجزار ان كانت الدولة تنعم على عبدها هذا بايالة صيداء فانا اقوم بهذا العمل وحدي ولا اكلفها الى شيء واول امر افعلهُ اني استخلص مدينة بيروت من حاكم الجبل وقد سبقتُ واصلحت اسوارها وحصنتها لهذه الغاية . فطلب منهُ القبوجي ان يكتب عريضة الى الباب العالي في هذا الشأن وهو يوصلها اليهِ ويسعى لهُ في اجابة سؤْلهِ . وكان كذلك فاتاهُ فرمان التولية وانتقل الى مدينة صيداء وصار سيدهُ الامير يوسف تحت امرهِ فاقرّهُ على ولاية الجبل لكنهُ فصل بيروت عنهُ

وكان الشيخ ظاهر العمر قد استولى على عكاء وامتنع فيها وعصى على الدولة لكن خانهُ رجالهُ الاتراك فدارت الدائرة عليهِ وقتل هو واولادهُ كما جاء في تاريخهِ (انظر المقتطف المجلد ٢٨) وحالما فتحت عكاء انتقل الجزار اليها وصرف همتهُ الى تمهيد البلاد التي كان يتولاها الشيخ ظاهر العمر والى تحصين عكاء حتى يأمن بوائق الايام . واكثر من حشد الجند من البشناق والارناؤُوط والاكراد وقرّب اليهِ احد مشايخ الاكراد واسمهُ الشيخ طاها وكانوا يعتقدون ولايتهُ ويقول غيرهم انهُ يزيدي يعبد الشيطان

ورأى ان الامر لا يستقيم لهُ ما لم يلقِ الفتنة بين مشايخ البلاد ففتن بين مشايخ بلاد بشارة والشقيف وبين الامير يوسف الشهابي امير لبنان لكي يضعف الفريقين. فشبّت الحروب بينهم الى ان ضعف شأن المشايخ ثم جهَّز للاجهاز عليهم فحاربوهُ في معارك كثيرة الى ان اصيب كبيرهم الشيخ نصيف النصَّار برصاصة ذهبت بروحهِ فتبدَّد شمل اتباعهِ وهرب اكثر المشايخ ودخلت عساكر الجزار البلاد وعاثت فيها فساداً فخضعت لهُ خضوع الضعيف الذليل. وكان يجهل مقدار الاموال الاميرية التي يمكن جبايتها من البلاد كل سنة لان مشايخها كانوا يجبونها ولا يؤَدون للدولة الاَّ النزر اليسير منها فاعطى التزامها لابرهيم مشاقة وارسل معهُ رجلاً آخر مثل والٍ عليها فاحسن ادارتها حتى صلحت احوالها وتوفَّرت اموالها لكن رجال الجزار ظلوا يتأثرون الفارين منها ويفتكون بالذين يقعون في ايديهم واتَّفق ذات يوم ان ابرهيم مشاقه كان آتياً لمقابلة الجزار فرأى نحو اربعين رجلاً من الفارين وقد قُبض عليهم وسيقوا الى القتل على اسلوب تقشعرُّ من ذكرهِ الابدان ألا وهو الموت على الخازوق — فظاعة لم تصل الوحوش اليها . وكان اعوان الجزار وهم من اتباع الشيخ طاها قد قتلوا ستة وثلاثين منهم على هذا النمط وبقي اربعة فطلب اليهم ان يكفُّوا عن قتلهم الى ان يطلب العفو عنهم فاجابوهُ الى طلبهِ لانهم كانوا يعرفون منزلتهُ عند الجزار. وكان الجزار جالساً في باب السراي

فدنا ابرهيم مشاقه منهُ وقص عليهِ ما رأى وتوسل اليهِ ان يعفو عن الرجال الاربعة الباقين وهو يفتديهم بالمال فعفا عنهم وامر ان يسلموا لهُ . ولما أُتي بهم اليهِ اخبرهم بعفو الجزار عنهم وامرهم ان يذهبوا الى بيوتهم مطمئنين ويكونوا في طاعة الحكومة دائماً فقالوا انك انقذتنا من الموت فنحن عبيدك ونرجو ان تقبلنا في خدمتك فامر لهم بكسوة لانهم كانوا قد عُرّوا للقتل واخذهم معهُ الى صور وبلاد بشاره

وحدث بعد ذلك ان نهض بعض المتعصبين لمشايخ البلاد وعزموا على الفتك بابرهيم مشاقه لتعود حكومة البلاد الى مشايخها واتى جماعة منهم وطلبوا مواجهتهُ فخرج اليهم وفيما هم يكلمونهُ هجم عليهِ واحد منهم وبيدهِ خنجر وطعنهُ بهِ وكان احد الرجال الاربعة حاضراً فدخل بينهما واستلقى الضربة فاصاب الخنجر صدرهُ ووقع قتيلاً مفتدياً ابرهيم مشاقه بنفسهِ جزاء صنيعهِ معهُ ومع رفاقهِ . واجتمع اعوان ابرهيم مشاقه حولهُ حالاً ودار الكفاح بينهم وبين الغادرين وانتشرت الثورة في البلاد كلها . وبلغ الجزار ذلك فبعث بالجنود من بشناق وارناؤوط واكراد للاقتصاص من الثائرين فقتلوا نحو ٣٠٠ منهم الى ان اخلدوا الى السكينة

ولما استتبَّ الامر للجزار في بلاد صفد وبلاد بشاره والشقيف وكل بلاد الساحل من حيفا الى بيروت وجه همهُ الى قهر جبل لبنان وكان فيهِ الامير يوسف وليُّ نعمتهِ فارهقهُ بالمطالب الكثيرة وطلب منهُ ان يتخلى عن اقليم الخروب واقليم التفاح وجبل الريحان واقليم جزين

وكان الامير يوسف وحشي الطباع وقد قتل اخاهُ الامير افندي وسمل عيني اخيهِ الامير سيد احمد وقتل خاليهِ الامير اسمعيل والامير بشيرًا فودَّ ان يتنازل عن الولاية حينئذٍ لما رآهُ من ارهاق الجزار لهُ لكنهُ خشي ان تعطى الولاية لاحد اقاربهِ فينتقم منهُ ولم يرَ احدًا يأتمنهُ الاَّ شابًا من الشهابيين اسمهُ الامير بشير فامرهُ ان يمضي الى الجزار ويعرض عليهِ مبلغًا من المال ليوليهُ على الجبل بدلاً منهُ

فقال لهُ الامير بشير اني فقير لا مال لي ولا رجال وربما يأمرني الجزار ان اعمل عملاً لا ترضاهُ وانا الآن محسوب مثل ابنك فاذا خدمت الجزار اصير مضطرًا ان يفعل ما يأمرني بهِ وقد يعطيني عسكرًا و يامرني بضربك فكيف افعل حينئذٍ . فقال لهُ الامير يوسف لا اطلب منك الاَّ ان ترسل تخبرني بما يأمرك بهِ حتى اذا كان كما قلت افر من وجهك . والآن اعطيك عشرة فرسان من اخص اتباعي ليكونوا في خدمتك واعطيك ما يقوم بنفقتك من المال

فسار الامير بشير الى عكاء ولما وصل الى صور استقبلهُ ابرهيم مشاقه وانزلهُ في بيتهِ واكرمهُ غاية الاكرام وارسل معهُ احد اتباعهِ الى عكاء وكتب الى اصدقائهِ فيها الشيخ طاها

رئيس الاكراد وابناء السكروج وكان لهم منزلة رفيعة عند الجزار وفي يدهم ادارة الخزينة والمحاسبات وطلب منهم ان يهتموا بامرهِ وطلب منهُ ان ينزل في بيت مشاقه في عكاء وكان ذلك بداءة اتصال عائلة مشاقه بالامراء الشهابيين

وقد اسهب الكولونل تشرشل والشيخ طنوس الشدياق في ذكر الاسباب التي دعت الامير يوسف الى التنازل عن حكومة الجبل للامير بشير ويظهر منها ان الجزار لم يكن ملوماً اكثر من الامير يوسف لان الامير يوسف مالأ اعداء الجزار عليهِ مراراً كثيرة . وبقي يناصبهُ العداء الى ان توفي اكثر انصارهِ واظهر لهُ اكابر البلاد الجفاء وجعل بنو جنبلاط ينفرون الناس منهُ ويشيعون عنهُ اخبار الوهن فرأى ان لا بدَّ لهُ من التنازل عن الولاية فنقل عيالهُ من دير القمر الى المتن ثم جمع اكابر البلاد وذكر لهم عجزهُ عن القيام بحقوق الولاية وما بينهُ وبين الجزار من العداء وطلب منهم ان يختاروا لهم والياً غيرهُ من الامراء الشهابيين فاختاروا الامير بشيراً ابن الامير قاسم عمر . قال الشيخ طنوس الشدياق ان الجزار كان يميل الى الامير بشير ويرغب في تنصيبهِ والياً على الجبل ولهُ معهُ رسائل ودسائس في هذا الشأن فاحضرهُ الامير يوسف واشار عليهِ ان يتوجه الى الجزار ويتشح بخلعة الولاية على البلاد وكان عمرهُ احدى وعشرين . قيل انهُ لما قال لهُ الامير يوسف انزل يا ابني الى عكاء وتولَّ مكاني اجابهُ اني اخاف ان انزل ابنك واطلع ابن الجزار . اما الكولونل تشرشل فقال ان عمر الامير بشير كان حينئذٍ اربعاً وعشرين سنة وان الجزار دهش من حسن طلعتهِ وخلع عليهِ خلعة الولاية وارسل معهُ الفين من المغاربة والارناؤُوط وحثَّهُ على طرد الامير يوسف من البلاد

وقال الدكتور مشاقه ان الامير بشير عاد الى صور من عكاء وارسل البشائر الى الجبل بتفويض احكامهِ اليهِ وارسل خبراً الى الامير يوسف انهُ قادم الى دير القمر بعد يومين . ولما وصلها لاقاهُ وجوه البلاد القريبة وقدموا لهُ الطاعة واخبروهُ عن قيام الامير يوسف من امامهِ فاستراح يوماً وارسل اخبر الامير يوسف انهُ مأمور باقتفاء اثرهِ ولكنهُ سيتئد في اتباعهِ حتى لا يدهمهُ بعساكرهِ . ثم سار وراءهُ حتى اذا وصل الى مضيق بين الجبال انهال عليهِ الرصاص كالمطر واذا الامير يوسف ورجالهُ كامنون لهُ هناك فاغتاظ من هذا الغدر وكان من اشجع رجال عصرهِ واعرفهم بابواب الحرب فامر رجالهُ بالهجوم على رجال الامير يوسف وسار هو في مقدمتهم فدارت الدائرة على الامير يوسف ورجالهِ فانهزم والامير بشير يقتفي اثرهُ الى ان خرج من حدود لبنان وعاد الامير بشير الى دير القمر منصوراً وارسل اخبر

الجزار بما حدث وجمع الاموال الاميرية وبعث بها اليهِ فسُرَّ الجزار بنشاطهِ وامانتهِ

ومرَّت الايام والامير يوسف والامير بشير يتناظران على ولاية الجبل ويتزايدان عند الجزار وهو يولي من يعدهُ بالمبلغ الاكبر الى ان نزل الامير يوسف الى عكاء ومعهُ الشيخ غندور الخوري فرحَّب الجزار بهما اولاً ثم اودعهما السجن وكبلهما بالقيود وامر بشنقهما. قال الشيخ طنوس الشدياق انهُ فعل ذلك اجابةً لطلب الامير بشير لانهُ كتب اليهِ ان الفتن لا تزال قائمة في البلاد بدسائس الامير يوسف ومدبرهِ الشيخ غندور الخوري فكتب الى نائبهِ في عكاء (لانهُ كان ذاهباً الى الحج) ان يشنق الامير يوسف ومدبرهُ بلا مراجعة ثم سكن غضبهُ وندم على صدور امرهِ فكتب حالاً الى نائبهِ المذكور الَّا يشنقهما وبلغهُ الامر الثاني قبلما شنقهما لكنهُ اخفاهُ باشارة ابن السكروج عدو الشيخ غندور فاخذ النائب الامير يوسف والشيخ غندوراً الى المشنقة فشنق الامير واما الشيخ غندور فمات خوفاً

اما الدكتور ميخائيل مشاقه فذكر رواية اخرى وهي ان الجزار كان يحاصر قلعة سانور وكان في السجن مع الامير يوسف رجل اسمهُ ابرهيم عزَّام وقد سجنهُ الجزار لا لذنب بل لانهُ فرض عليهِ غرامة كبيرة فلم يستطع دفعها وكان لهُ ولد اسمهُ خليل في خدمة الجزار في استلام الذخائر الحربية. وامر الجزار بلغم القلعة فلما اشتعل اللغم ارتد على العسكر فقتل كثيرين منهُ فكتب خليل عزام الى ابيهِ في السجن يخبرهُ بذلك بحروف اصطلاحية بينهما ودس الكتابة في رغيف خبز فعثر السجان عليها وارسلها الى الجزار فسلمها الى الكتَّاب فقرأُوها لهُ واذا هو يبشر اباهُ بما حدث في سانور ويقول لهُ ان يبشر الامير يوسف بذلك لعلَّهُ يكون الوالي على عكاء بعد الجزار فلما وقف الجزار على مضمون الكتابة امر بشنق الامير يوسف والشيخ غندور وابرهيم عزام وولدهِ خليل فشنقوا الاربعة

ثم استطرد الدكتور مشاقة الى وصف اخلاق الجزار واعمالهِ فقال انهُ كان في اول امرهِ يتعاطى المسكرات وكان اقل شرًّا ممَّا صار اليهِ بعد ان تاب عنها. ولكنهُ مع قبح اعمالهِ كان يساوي بين علماء المسلمين وقسوس النصارى وحاخامات اليهود وعقال الدروز فيسجن الجميع سواءً ويعذب الجميع على حدٍ سوى ولا ذنب لهم غير توقفهم عن دفع ما يطلبهُ منهم من الاموال ولو كانوا لا يملكون شيئاً

ثم ذكر حادثة من هذا القبيل لها علاقة بجدهِ ابرهيم مشاقه قال

لما اخذ ابرهيم مشاقه التزام بلاد بشارة ونشَّط اهل الزراعة كان بين الذين رغبوا فيها رجل اسمهُ موسى رزق فعثر هذا على دفينة قديمة من الذهب فاخذ جانباً منها وبذرهُ في اماكن

مختلفة فجعل الناس يلتقطونهُ وهو في جملتهم ووصل الخبر الى الجزار فارسل رجلاً وامرهُ ان يكتب اسماء كل الذين التقطوا شيئاً من ذلك الذهب وكان موسى رزق المشار اليهِ آخر من حضر والتقط الذهب واكتفى بالتفتيش عنهُ يوماً واحداً لكنهُ التقط اكثر من غيرهِ فكتب اسمهُ وارسل الاسماء كلها واوقع الشبهة على موسى رزق قائلاً انهُ لو كان محتاجاً الى الذهب لما اكتفى بالتفتيش عنهُ يوماً واحداً. فامر الجزار باحضارهِ واستنطاقهِ بالترغيب اولاً ثم بالترهيب فبقي مصرًّا على الانكار. وقال اهل الحسد ان هذا الرجل ينتمي الى ابرهيم مشاقة ولا بد ان يكونا قد وجدا الدفينة واقتسماها . والقوا هذا الكلام الى الجزار فقال اني اعرف صدق ابرهيم مشاقة وحسن تدبيرهِ فلا يتصرف هذا التصرف ومع ذلك لا وجه لاتهامهِ الآن فاذا ظهر ما يوجب اتهامهُ فعلنا ما يجب في امرهِ . وامر ان يسلَّم موسى رزق الى طائفة من الاكراد لتعذيبهِ فاخذوا يعذبونهُ اولاً بضرب السياط ثم علقوهُ بيديهِ ورجليهِ واداروا وجههُ نحو الارض وجعلوا يضعون الاثقال على ظهرهِ . وبعد ذلك صاروا يحمون طاسات من الحديد ويضعونها على رأسهِ ويدخلون المسامير تحت اظافرهِ وكانوا كلما فرغوا من تعذيبهِ ينزلونهُ الى بئر عميقة قليلة الماء ليبيت فيها . ولما طال عليهِ العذاب وفرغ صبرهُ اعترف انهُ وجد الدفينة فبذَّر جانباً منها واحضر الى بيتهِ جانباً وابقى بقيتها في مكانها لكنهُ ابى ان يدلهم عليها . فامر الجزار ان يحضروا الذهب الذي في بيتهِ ويكفُّوا عن تعذيبهِ اياماً لعلهُ يؤخذ بالحسنى . ثم احضروا زوجتهُ لتنصحهُ فيقر وينجو من العذاب فاتت وجعلت تكلمهُ من فوق البئر وقام اناس في مكان لا تراهُ يسمعون كلامها فقالت لهُ انني استأذنت الجزار لكي اكلمك سرًّا فاذن لي ووعدني بكل خير ان انت قلت الحق ودللتهُ على مكان الدفينة فترحم نفسك وعيالك ولماذا لا تقر عن ابرهيم مشاقه الذي يقول جميع الناس انهُ شريكك وما هي منفعتك اذا بقيت على هذا الاصرار فانهُ يقتلك عذاباً ولا تستفيد شيئاً ولا نستفيد نحن

فقال لها ان هذه الدفينة لا يعلم مكانها الاَّ الله وانا وليس لي فيها شريك لا ابرهيم مشاقه ولا غيرهُ ولا اعلم مقدارها بالتحقيق ولكنها وافرة جدًّا ولا يمكن ان ادلَّ الجزار عليها لانهُ يستغني بها ويزيد ظلماً وجوراً

فاخبروا الجزار بذلك فاشتد حنقهُ عليهِ وامر ان يعودوا الى تعذيبهِ فربطوهُ واضرموا حولهُ النار فاختنق ومات

ومن اعمالهِ الوحشية انهُ امر ذات يوم بجمع ارباب الحرف والصنائع الذين في عكاء فجمعوهم في دارهِ ووقف هو في باب الدار وامر بتقديمهم اليهِ واحداً واحداً وكان ينظر الى

جبهة كلٍّ منهم ثم يصرفهُ او يبقيهِ فابقى نحو مئتين وثلاثين رجلاً مختلفي المذاهب والمراتب والصنائع وامر باخراجهم الى خارج المدينة في اواخر النهار وذبحهم من نقرهم على شاطئ البحر وتركهم هناك الى اليوم التالي حتى تأكل الوحوش كفافها منهم ثم يدفنوا . فساقهم رجالهُ الى حيث اشار وذبحوهم . وأُقفل باب عكاء حينئذٍ حتى لا يخرج احد منها واتَّفق ان فلاحًا من اهل القرى خرج من المدينة بعد ان اتمَّ الجزارون مجزرتهم ووفُتح الباب وكان راكبًا على حمارهِ وطريقهُ على مكان المجزرة فنظر واذا واحد من المذبوحين يتحرك قليلاً فتقدَّم اليهِ فبطلت حركتهُ فناداهُ قائلاً انني نظرتك تتحرك فلا تخف لانني آتٍ لاسعافك لوجه الله. فاجابهُ الذبيح نعم انني باقٍ في قيد الحياة فنزل الفلاح عن حمارهِ وربط رقبتهُ واركبهُ على حمارهِ ومشى بهِ حتى اوصلهُ الى قريتهِ واخفاهُ في بيتهِ وخاط جرحهُ ونزل الى عكاء في اليوم التالي واشترى لهُ مرهمًا وصار يدبرهُ حسب امكانهِ الى ان شفي . فقال لهُ لم يعد في الامكان بقاؤُك في هذه البلاد لئلا يدري الجزار بك فيقتلك ويقتلني . فشكرهُ الرجل على احسانهِ وطلب منهُ ان يرسلهُ الى دمشق فاركبهُ على دابتهِ وسار بهِ الى ان وصلا دمشق فتركهُ فيها وعاد الى قريتهِ بعد ان اعطاهُ قليلاً من النقود لينفقهُ على نفسهِ الى ان يجد لهُ عملاً يعيش منهُ . واسم هذا الذبيح ميخائيل الباشا من اقرباء الخواجات باشا سكان بيروت الآن

ودرى بعضهم بهذه الحادثة بعد سنين وجاء الجزار وقال لهُ ان ميخائيل الباشا الذي صدر امركم بذبحهِ لم يمت وهو الآن في مدينة صور يشتغل بنَّاء ورقبتهُ محنيَّة الى الامام فاذا حسن في اعينكم فليصدر امركم باحضارهِ والفحص عن كيفية نجاتهِ وعن اسم الذي نجاهُ وعن الذي أُمر بذبحهِ فلم يفعل حسب امركم

فقال لهُ الجزار ان كان الامر كما ذكرت فالرجل لم يكن يستحق الذبح فدبَّر الله واسطة لنجاتهِ وارسلك اليَّ لتكون بدلاً منهُ وامر بذبحهِ من نقرتهِ فذبحوهُ .

ومنها انهُ كان للمعلم خليل عطية من اهالي دير القمر (الذي جرَّ ماءَ نهر الباروك الى سراي الشيخ بشير جانبلاط في المختارة وماء نهر الصفا الى سراي الامير بشير في بيت الدين) اربعة اخوة ذهب اثنان منهم الى مصر في تجارة لما فتحها الفرنسويون فلما وقف الانكليز لهم بالمرصاد توقفت التجارة فعاد اكثر ابناء بر الشام الى بلادهم وكان في جملتهم ابنا عطية وكاهن ماروني كان راجعًا من مدرسة رومية . فسافروا في مركب صغير قاصدين صيداء ومنعتهم الريح من الوصول اليها فدخل مركبهم مرفأ عكاء فأمر الجزار بالقبض على كل الذين في المركب وكانوا اكثر من اربعين نفسًا ووضعهم في السجن . ووصل الخبر الى والد ابني عطية في دير القمر

فارسل ابنهُ الثالث بمبلغ من المال لكي يطعمهما ما داما في سجن الجزار وكان سجنهما قبوًا كبيرًا تحت دار الحريم بابهُ اسفل الدرج الذي يصعد بهِ الى دار الحريم والى مكان الخزينة وبرجها واتفق ذات يوم ان كان الاخ قادمًا بالطعام الى اخويهِ فرآهُ الجزار وسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ اخو اثنين من المسجونين فأمر ان يسجنوهُ معهما

وتشكى السجَّان من انهُ لم يبقَ عندهُ سلاسل لتقييد الذين يصدر الامر بتقييدهم فامرهُ الجزار ان يخنق كل الذين اتوا من مصر وغيرهم تتمة المئة ويطرحهم في البحر. وللحال اتى الاكراد ومعهم الحمَّالون وزنابيل الخوص واستصعبوا خنق اولئك المساكين فكانوا يضعون الواحد منهم في زنبيل ويكسرون سلسلة ظهرهِ بمطرقة كبيرة ويخيطون الزنبيل عليهِ ويحملونهُ الى البحر وكان اولاد عطية الثلاثة والكاهن الماروني في جملة الذين اماتوهم هذه الميتة الفظيعة لا لذنب اقترفوهُ بل لأن السجان كان محتاجًا الى قيودهم

وكان اولاد السكروج المشار اليهم آنفًا من اصدقاء ابرهيم مشاقه وكانوا يثقون بهِ ويعتمدون على رأيهِ . فتغيَّر الجزار عليهم واعتقلهم وطلب منهم اموالاً طائلة فاشار عليهم ابرهيم مشاقه بدفعها فتعهدوا بدفعها تدريجًا فرضي الجزار عنهم وارجعهم الى وظائفهم في الخزينة ولما اتموا دفع ما طلبهُ منهم اعتقلهم ثانيةً وطلب منهم اموالاً اخرى فاخبروا ابرهيم مشاقه بذلك وصمَّموا على عدم الدفع لانهُ لم يبقَ عندهم شيءٌ . فكتب اليهم ابرهيم مشاقه ان يتعهدوا بدفع ما طلبهُ منهم ولا يغرروا بانفسهم وهو يدفع عنهم . ووصلهم كتابهُ فلم يستحسنوهُ واصرُّوا على عزمهم فامر الجزار بقتلهم فقتلوهم كلهم وجمعوا اوراقهم وقدَّموها اليهِ وكان بينهما كتاب ابرهيم مشاقه . وكان ابرهيم مشاقه قد اصيب بالحمَّى لما بلغهُ ما حلَّ بهم فحملوهُ من بلاد بشاره الى بيتهِ في مدينة صور . ولما وقف الجزار على كتابهِ ورأى فيهِ ان عندهُ ما يدفعهُ عن اولاد السكروج قال لم يضع علينا شيءٌ وارسل حالاً واستدعاهُ الى عكاء فوجدوهُ مريضًا جدًّا فقال انتظروهُ حتى يشفى واذا مات احضروا اولادهُ فمات وكان عمرهُ اثنتين واربعين سنة واكبر اولادهِ واسمهُ جرجس عمرهُ نحو عشرين سنة فاخذوهُ الى عكاء قبل ان يُدفن ابوهُ ولما وصلوا بهِ اليها اخذهُ الشيخ طاها الى بيتهِ ولم يضعهُ في السجن اكرامًا للمودَّة القديمة بينهُ وبين ابيهِ وقال لهُ ان المطلوب من اولاد السكروج خمس مئة الف غرش (وهي تساوي بمعاملة هذه الايام خمسين الف ليرة) وقد تعهَّد والدك في كتابهِ اليهم انهُ يدفعها عنهم فافندينا يطلب منك ان تدفع هذا المبلغ فيقرُّك مكان ابيك ويكون نظرهُ عليك كما كان على ابيك . فاجاب ان والدي كان يعرف كيف يتصرَّف في جمع المال

المطلوب من املاكهِ ومقتنياتهِ وهو لم يترك لي نقوداً حتى ادفعها فامهلوني حتى ابيع ما تركهُ لي واقدم ثمنهُ الى خزينة افندينا . واخذوهُ لمواجهة الجزار فرآهُ صغير السن نحيف الجسم فشفق عليهِ وامر ان يؤْخذ منهُ ثلثا المبلغ المطلوب فقط مقسطاً على ثمانية عشر شهراً ويوجَّه اليهِ التزام بلاد بشارة كابيهِ وامر بتلبيسهِ فروًا علامة الرضى عنهُ . فكتب صكًا على نفسهِ للخزينة بمال الالتزام وبالاقساط المشار اليها وعاد الى بيتهِ فاخذ يبيع من المواشي والمنقولات فباع الجمل بثلاثين غرشًا والنعجة مع حملها بخمسة غروش وجعل يدفع الاقساط في اوقاتها ولكنهُ لم يبع شيئًا من العقارات الثابتة كالبيوت والمخازن والدكاكين والاراضي والبساتين وكان ذلك سببًا لوقوعهِ ثانيةً وسلب نعمتهِ بالكلية كما سيجيءُ

وكان لابرهيم مشاقة شركة تجارية مع رجل دمشقي الاصل اسمهُ جرجس سرور (وهو والد الخواجه ميخائيل سرور الذي صار قنصل فرنسا في دمياط) وكان جرجس سرور هذا مقترنًا بابنة حنا عنحوري من كبراء دمشق ولها اخت بديعة الجمال اتت لزيارة اختها في صور فخطبها جرجس مشاقه في عهد ابيهِ ولما انقضت ايام الحداد على ابيهِ تزوج بها ولم يكد يتم دفع الاقساط المطلوبة منهُ حتى اتى واحد من المغاربة وقبض عليهِ وساقهُ الى عكاء فاخذهُ الشيخ طاها الى بيتهِ ولم يسمح بوضعهِ في السجن

وكان السبب في هذه البلية الجديدة ان احد الوشاة من مسيحي صور كان جالسًا في مجلس الجزار فسمعهُ يمدح امانة بيت مشاقه ويثني على جرجس مشاقه لانهُ اتم كل ما تعهَّد بهِ مع كونهِ صغير السن وباع ما يمتلكهُ لكي يفي بوعدهِ . فقال الرجل ان اذن افندينا لي في الكلام ابنت لهُ واقعة الحال لاني ابن بلدتهِ ومن اعرف الناس باحوالهِ واؤَكد لافندينا ان الذي دفعهُ للخزينة انما هو من فضلات ما عندهُ لان والدهُ وضع يدهُ على ثلاثمائة قرية مدة ثماني سنوات وصار لابنهِ الآن سنة ونصف مستوليًا عليها والذي يدفعهُ عنها للخزينة ليس اكثر مما كان يأكلهُ شيخ من مشايخها هذا فضلاً عن مال ابيهِ وجدهِ ولنترك امر الدفينة التي وجدها موسى رزق وكان ابوهُ شريكًا لهُ فيها فما هو الذي باعهُ باع بعض الجمال والنعاج ليظهر امام الناس ان لا مال عندهُ ولكن اين الدور والمخازن والدكاكين والبساتين والاراضي التي يمتلكها في صور وصيداء وبلاد بشارة انَّ حلي والدتهِ تكفي فضلاً عن تجارتهِ بالدخان في مصر

فاثر هذا الكلام في نفس الجزار اعظم تأْثير وكان نهمًا لا يشبع من اموال العباد واكبر ذنب لديهِ ان يمنع احد اموالهُ عنهُ فيقتلهُ او يعذبهُ او يكتفي بقطع انفهِ او اذنهِ ولو كان من خواص رجالهِ . وللحال امر هذا الواشي ان يكتب لهُ ممتلكات بيت مشاقة في كل الجهات

واسماء شركائهم في التجارة واستحضر جرجس مشاقة كما تقدم وطلب منهُ اموالاً طائلة فقال اني اقدم كل ما املكهُ لافندينا وقدم لهُ دفترًا بما يملكهُ . فقال الواشي ارسلوهُ الى صور وعذبوهُ امام امهِ وزوجتهِ فتروا كم تجدون عندهُ من الاموال . لكن الجزار على شراستهِ كان ارأف من هذا الرجل فامر ان يؤْخذ جرجس مشاقة الى صور ولكن لا يعذَّب بل يهدَّد بالتعذيب امام والدتهِ وزوجتهِ لتدرأا العذاب عنهُ

فاحضروهُ الى صور واخذوا يشيعون انهُ سترد اليهم الاوامر بتعذيبهِ ثم يقولون صدر الامر بجلدهِ خمسمائة جلدة فترسل امهُ وتشتري الجلدات بكذا من المال . وبعد ايام يضعون الحبل في رقبتهِ ويمرون بهِ امام باب بيتهِ فتسمع زوجتهُ بذلك فترمي لهم حلاها ليطلبوا لهُ العفو من الجزار . ثم يأتون بهِ بعد ايام اخرى وهم واضعون خشبة طويلة على ظهرهِ ويقولون صدر الامر برفعهِ على الخازوق فتدفع اليهم والدتهُ حلاها . وما زالوا يفعلون ذلك الى ان اخذوا كل حلى امهِ وزوجتهِ واخواتهِ وارملة عمهِ وبناتها وبعنَ امتعة البيتين واعطينهم ثمنها واستدنَّ كل ما عند اقاربهنَّ من النقود ودفعنهُ اليهم وبلغت النقود التي استدنَّها عشرة آلاف ريال . ولما ثبت للجزار انهُ لم يبقَ عندهُ شيءٌ يأْخذهُ منهُ امر باطلاقهِ

فلما أُطلق سبيلهُ وجد انهُ لا يملك شيئًا يعول بهِ امهُ وزوجتهُ واخوتهُ واخواتهِ وارملة عمهِ واولادها فاشار عليهِ احد الرهبان ان يمضي الى دير المخلص لعلهُ يجد فيهِ شيئًا من مال ابيهِ فاعطاهُ رئيس الدير خمس مئة غرش مدعيًا ان ليس لابيهِ شيءٌ عندهم وانها احسان منهُ ولم يكن الامر كذلك كما سيجيءُ

فعاد الى صور واعطى النقود لامهِ وسافر الى مصر آملاً ان يجد فيها عملاً يعملهُ عند اخوة زوجتهِ فقالوا لهُ اننا لا نقدر ان نبقيك عندنا لئلا يقول الوشاة انك اتيت الى هنا لتستوفي اموالاً لابيك فيسمع الجزار ويطلبنا من المماليك فيلبون طلبهُ وتخرب بيوتنا فنعطيك الآن ما تسد بهِ حاجتك وتعود الى سورية وتختفي في جبل لبنان الى ان يمن الله بالفرج . فاعطوهُ الف غرش (اربع مئة ريال) فارسل نصفها لى امهِ ومضى الى دير القمر وتعلم فيها صناعة الصياغة فاتقنها وصار يعمل بها لاجل معاشهِ

اما والدتهُ فخشيت من الفاقة ولم تشأْ ان تكون عالةً على احد فصارت تشتري القمح وتطحنهُ وتصنعهُ خبزًا هي وبناتها وكنتها . وجعل اولادها واولاد سلفها يحملون اطباق الخبز على رؤُوسهم ويبيعونهُ في السوق بعد تلك النعمة التي كانوا فيها

ولما حسنت حال جرجس قليلاً في دير القمر ارسل واستدعى امهُ وزوجتهُ واخوتهُ واخواتهِ

اليهِ واتَّفق ان الامير بشيرًا الشهابي مرَّ بصور وهو نازل الى عكاء فوجد حاكمها مقيماً في دار مشاقه (لان الجزار استصفى كل املاكهم) فتذكر ابرهيم مشاقه وسأَل عن ابنهِ الكبير فأخبروهُ بكل ما جرى لهُ وقالوا لهُ انهُ الآن في دير القمر. فاسف كثيرًا ولما عاد الى دير القمر ارسل استدعاهُ اليهِ وسأَلهُ عن قصتهِ فقصها عليهِ من اولها الى آخرها فطيَّب قلبهُ وجعلهُ كاتبًا عندهُ وقطع لهُ راتبًا كبيرًا وقسَّط الديون التي عليهِ واوفاها عنهُ

هذه خلاصة ما ذكرهُ الدكتور مشاقه من تاريخ ابيهِ وجدهِ ومعاملة الجزار لهما وهو يؤَيد ما رواهُ غيرهُ عن ذلك الطاغية واعمالهِ الوحشية. الَّا ان رضوخ الناس لاعمالهِ يدلُّ على انها لم تكن كثيرة الشذوذ بل كانت مأْلوفة لديهم جرى عليها الولاة من قبلهِ ولو لم يفرطوا افراطهُ فالفتها الطباع واعتادتها النفوس مصداقًا لقول المتنبي

مَن يهن يسهل الهوان عليهِ ما لجرح بميّتٍ ايلامُ

وسنتم الحديث عن الجزار في الجزء التالي لا قصد اظهار المعايب بل ايضاحًا لما حلَّ باهالي القطرين من العسر وما اوجب تأخرهما عن مجاراة البلدان التي كانت دونهما حضارة

الفنتريلكوست اي المتكلم من بطنهِ

حضرنا بالامس مجلسًا قام فيهِ احد الذين يدَّعون انهم ينامون نومًا مغنيطيسيًّا ثم يصيرون قادرين على قراءة الافكار فنومتهُ زوجتهُ وجعلت تسأَل الحضور رجالاً ونساء عن الاغاني التي يريدون ان يلعبها على آلة موسيقية فيلعبها من غير ان تقول لهُ شيئًا. تقف امامك وتقول لك ماذا تريد ان يلعب لك فتعين لها اغنية معروفة فلفتت الى زوجها وهي بعيدة عنهُ وتشير اليهِ بيدها فيذكر هو اسم الاغنية المطلوبة ويلعبها على آلة موسيقية وعلى عينيهِ عصابة سوداء. وقد طلب منا كثيرون ان نفسر لهم ذلك. ويقيننا ان الرجل لم يكن نائمًا النوم المغنطيسي ولم نرَ عليهِ اقل شيء من دلائل النوم الَّا ما يتصنَّع بهِ تصنُّعًا ولعلَّ المرأَة من الذين اتقنوا صناعة الفنتريلكوسم اي التكلم من البطن فاذا ذكرتَ لها اسم اغنية التفتت الى زوجها واشارت اليهِ بيدها وذكرت لهُ اسم الاغنية فتسمعهُ هو يتلفظ باسمها على اثر اشارتها اليهِ بيدها والحال انها هي التي تلفَّظت بهِ ولكن ظهر لك كأَن الصوت صدر منهُ لا منها. فيسمع اسم الاغنية منها كما تسمعهُ انت ويلعبها على الآلة. وكل الغرابة محصور في ان المرأَة تتكلم من بطنها اي تكيّف صوتها حتى يظهر انهُ صادر من زوجها لا منها. والناس

الذين يقدرون على تكييف اصواتهم على هذه الصورة قلال جدًّا ولكن لا شبهة في انهم يجعلون من يسمعهم يظن ان صوتهم صدر من جهة غير الجهة التي هم فيها حسبما يشاؤُون وقد ينظر اليك الواحد منهم ويكلمك بكلام فتظن المتكلم شخصاً آخر واقفاً وراءك او عن يمينك او عن يسارك حسبما يشاء المتكلم الحقيقي . وقد كتبنا مقالة مسهبة في هذا الموضوع في المجلد الثاني من المقتطف لانرى بأْساً باعادة اكثر ما جاء فيها وهو

الفنتريلكوست كلمة اعجمية مأْخوذة من اللاتينية بمعنى المتكلّم من بطنهِ وتطلق على من يستطيع ان يكيّف صوتهُ على شكل انهُ اذا كلمك من امامك اوهمك بان المتكلم رجل آخر يكلمك من ورائك او من فوقك او من تحتك او من السماء او من الهواء او من تحت الارض او من حائط في المسكن او من ابريق او من بقعة لا ترى فيها احدًا حتى يسبق الى ظنك ان المتكلم روحٌ او خيالٌ او شخص غير منظور . ولذلك كان الاوَّلون يعتقدون ان من كان كذلك من البشر كان في بطنهِ شيطان يتكلم او تابع كما سيجيء . واما المتأَخرون فكشفوا حقيقة امرهم وازالوا عن الابصار حجاب سحرهم حتى صاروا اليوم يمارسون صناعتهم لبسط البشر بدلاً من ان يخدعوهم بها ويلعبوا بعقولهم كيف شاءُوا

قال الاب دو لا شابل الفرنساوي وهو من اشهر من كتب عن المتكلمين من بطونهم : كنت يوماً اتحدث مع سمَّان اسمهُ جل فبعد ما جرى الحديث بيننا طرق اذني صوت يناديني باسمي من سقف الغرفة التي كنا جالسين فيها وخال لي انهُ آتٍ من بيت جاري فالتفتُّ الى تلك الجهة وقد اشرت اليها بيدي فسمعت ذلك الصوت يقول لي من تحت الارض " ليس من هناك خرج الصوت " ثم سمعتهُ يخاطبني من الحائط ثم من فوقي ثم من جهة أُخرى حتى لم تبقَ جهة لم اسمعهُ منها وكنت متيقناً ان هذه الاصوات هي اصوات السمان مجالسي لاني خُبِّرت عنهُ كذلك واستحضرتهُ لاتحقق الخبر ومع اني كنت اترقبهُ بحرصٍ لم ارَ شفتيهِ تتحركان ولا نظرتهُ يبدي امارةً تدلُّ على انهُ كان يتكلم ولكن وجههُ كان منحرفاً عني فلم ارَ منهُ الَّا شقاً واحدًا

وقال ايضاً عنهُ : استصحبتهُ فئة من ارباب المعارف اعضاء مجمع العلوم بباريس وذهب معهم جماعة من اكابر القوم الى غاب وكان بينهم امرأَة شريفة لم نعلم شيئاً عنهُ ، فاخبروها انهم سمعوا بظهور روح راصد في الغاب فعزموا على الذهاب الى هناك ليتاكدوا الخبر . ولما جلسوا لتناول الطعام سمعت المرأَة صوتاً يكلمها من فوق راسها فاجفلت والتفتت نحو الصوت فسمعتهُ يكلمها من بين الشجر ثم عن الاغصان ثم من تحت رجليها ثم عن بُعْدٍ حتى مرَّ عليها ساعتان من الزمان وهي واثقة بانَّ من يكلمها روح لا بشر

وفي كتاب الدروس الاولية في الفلسفة العقلية للدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية السورية : ان لويس برابنت خادم فرنسيس الاول ملك فرنسا علق احدى بنات الاغنياء فخطبها فمنع منها وبعد مدة قصيرة توفي ابوها فذهب لويس الى امها كانهُ يقصد تعزيتها وبعد ما استقرَّ قليلاً سمعت صوتًا من السقف قائلاً ابنتها الحبيبة ارحميني وزوّجي ابنتي من لويس برابنت فاني لمنعهِ منها اعذَّب بالنيران عذابًا اليمًا. فقالت للويس بكل اندهاش وحيرة لتكن لك ابنتي زوجةً فاقبلها ايها العزيز. واذ كان ذا فاقةٍ اجَّل العرس وذهب الى ليون قاصدًا كورنو وكان هذا صاحب بنك وغنيًّا جدًّا الَّا انهُ لا بخيل مثلهُ بين بخلاء ليون فلما وصل لويس اليهِ اخذ معهُ في الحديث عن النفس والمعاد والحساب والجزاء وفيما هما يتناظران خرج صوت من الحائط قائلاً يا بُنيَّ لاني لم اهب لويس مالاً لافتداء المسيحيين من اسر الاتراك أُلقيت في النيران اعذَّب عذابًا لا مزيد عليهِ. فانذهل كورنو الَّا انهُ لشدَّة بخلهِ لم يسمح للويس بشيء فذهب لويس من عندهِ صفر اليدين لكنهُ عاد اليهِ في الغد وعند جلوسهِ حدث في المكان اصواتٌ مختلفة الصفات والجهات من ابي كورنو واقربائهِ الذين كانوا قد توفوا وكلها تقول يا كورنو اعطِ لويس كل ما تقدر عليهِ وخلصنا من غضب القدير. فارتعد كورنو جدًّا وفي الحال اعطى لويس ٢٥٠٠ ليرة انكليزيَّة فاخذها ظافرًا مسرورًا وتزوَّج معشوقتهُ وبعد ايام عرف كورنو والارملة ان تلك الاصوات كانت اصوات لويس برابنت فمرض كورنو غيظًا وهلك بعد وقت قصير من هذه الحادثة . انتهى بتغيير زهيد

وكان في لندن حدَّاد يكيّف صوتهُ كما يريد فيجلس في عليَّة ثم اذا اراد ان يخدع مجالسهُ يكلمهُ بصوتٍ يظهر انهُ خرج من قبو تحت العلية فينزل لمقابلة من يكلمهُ فيسمع صوتهُ آتيًا من الشارع فيخرج الى الشارع فيسمعهُ آتيًا من العلية فيعود اليها حائرًا . وبمثل ذلك كان يعذّب رفقاءهُ عذابًا مرًّا . والذين يتكلمون من بطونهم الآن يحضرون المحافل العامَّة ويبسطون بضاعتهم امام الجمهور فيوهمونهم تارةً ان شيخًا يضحك في سقف القاعة التي هم فيها وتارةً ان قينةً تغني في الحائط وتارةً ان خطيبًا يخطب عليهم في الهواء وتارةً ان اطفالاً تبكي في كؤُوس بين ايديهم ونحو ذلك من الغرائب

فلا بدع اذا انخدع الاوَّلون بمثل هذه الامور لقلَّة ما كان يُعرَف في ايامهم من الحقائق والشرائع الطبيعية . قال الاب دولاشابل المذكور وغيرهُ ان العرَّافين والكهَّان والتابعين والمشعوذين ونحوهم ممن كان لهم سطوة ونفوذ عند المصريين والكلدانيين واليونانيين والرومانيين واكثر الاقدمين كانوا يستطيعون تكييف اصواتهم وايهام الآخرين ان الآلهة تكلمهم فيكبر

الناس مقامهم ويعظمون قدرهم . ولا يبعد ان يكون ذلك قد وُجِدَ عند العرب فظنوهُ فائق الطبيعة كما ظنهُ غيرهم واليهِ اشرنا في اوَّل هذه المقالة

هذا وربما ظنَّ القارئُ ان هؤُلاء الناس يتكلمون من بطونهم كما هو مفاد الكلمة التي يسمَّون بها والصحيح انهم يتكلمون بافواههم كعادة البشر والسرُّ في صناعتهم هو في ايصال الصوت الى اذن السامع على اختلاف الطريقة المعهودة ولبيان ذلك نقول

اذا سمعنا صوتًا ينادينا من ورائنا التفتنا الى الوراء او عن جانبنا التفتنا الى ذلك الجانب فهذا دليل على اننا نعرف جهة الصوت بمجرد السمع . وسببهُ ان لكل انسان اذنين مفترقتين متوازيتين على جانبي رأسهِ . فاذا وقع الصوت عليهما كان اشدّ على الاذن التي الى جهتهِ مما على الاخرى كما اذا جاءنا الصوت عن اليمين فانهُ يقع على الاذن اليمنى اشد مما على اليسرى فيلتفت العقل الى جهة الصوت الاشد وبالاختبار يعلم ان الصائت فيها . واما اذا صمَّت اذن من اذني الانسان فيعسر عليهِ السمع ولذلك تراهُ يميل الاذن الصحيحة من ناحية الى اخرى ليعلم جهة الصوت . وكما انهُ يعلم جهة الصوت بالاختبار هكذا يعلم أهو بعيد عنهُ او قريب منهُ فليس في الناس انسان صحيح السمع الاَّ يجد فرقًا بين صوت من يكلمهُ وهو بجانبهِ ومن هو على بعد مئة ذراع عنهُ . وبالحرص تزداد معرفتهُ لذلك حتى يصير قادرًا على امور مستغربة جدًّا . قيل ان نابوليون الاول كان اذا سمع صوت المدافع يعيّن جهتها وبعدها عنهُ بضبط كلي حتى كان اصحابهُ يعجبون من حذقهِ

والخلاصة ان الانسان يعلم بالاختبار جهة الصوت وهل هو بعيد او قريب فاذا كان شخص قادرًا على تكييف صوتهِ بحيث يوهم السامع ان صوتهُ خرج من جهة غير جهتهِ وبُعدٍ غير بعدهِ كان هذا الشخص متكلمًا من بطنهِ فيسهل عليهِ حينئذٍ ان يجعل صوتهُ قريبًا وهو بعيد او بعيدًا وهو قريب وان يوهم السامع بانهُ آتٍ عن يمينهِ او من فوقهِ او من تحتهِ او من مكان آخر وهو في الحقيقة آتٍ عن يسارهِ . وقد وجدوا ان الذين يكيفون اصواتهم كذلك يتصرفون بالسنتهم وانفاسهم على طريقة انهم يملكون حناجرهم ويصيغون اصواتهم كيف شاءُوا بخلاف ما هو معهود . وقد شاهدنا رجلاً يتكلم من بطنهِ ويخدع سامعيهِ فكنا نسمع صوتهُ آتيًا من غرفة اخرى او نازلاً من السقف وهو واقف امامنا . ولو لم يخبرنا انهُ هو المتكلم لما عرفنا ذلك

والمرأة المشار اليها آنفًا لم ننتبه نحن الى انها كانت تتكلم من بطنها بل انتبه الى ذلك احد الحضور واخبرنا بهِ . وحتى الساعة لا نجزم بانها كانت تتكلم من بطنها لانها لم تعترف لنا بذلك ولكن ان كانت لا تتكلم من بطنها فهي ورجلها يستخدمان حيلة أُخرى من هذا القبيل

التنويم والاستهواء

يكثر ورود المشعوذين على هذا القطر في فصل الشتاء وبينهم اناس يدَّعون معرفة الغيب واكتشاف الغوامض بالاستهواء او شفاء الامراض والاوصاب بهِ فتكثر علينا مسائل السائلين عن كشف ما يرونهُ من الغرائب او صحة ما يدعيهِ اصحاب الاستهواء من شفاء الامراض

وقد كتبنا عن التنويم والاستهواء فصولاً كثيرة في السنين الماضية ولا نرى بأساً الآن بذكر خلاصة ما حقَّقهُ العلماء في هذا الموضوع مقتطفاً بعضهُ من مقالة فيهِ للدكتور هرلد هايس

(١) تاريخ الاستهواء

الاستهواء قديم مارسهُ البابليون والاشوريون والهنود والفرس وغيرهم من الشعوب القديمة وكان كهنتهم يستهوون الناس او يستهوي بعضهم بعضاً فيصابون بشيء من الصرع والانجذاب. ولعلَّ كثيرين من كهانهم وانبيائهم كانوا من المعرَّضين للاستهواء الذاتي فتصيبهم غيبوبة يدَّعون ان نفوسهم مضت فيها الى عالم الارواح ومعاهد الآلهة ثم ينبئون بما رأوهُ في احلامهم او توهموا انهم سمعوهُ فيها. ولا يزال فقراء الهند يفعلون ذلك الى الآن يصيبهم نوع من الذهول او الانجذاب فيتخذون ذلك وسيلة للتعيش والتدجيل

وشاع الاستهواء في اوربا مدة القرون الوسطى ولكن لم يبحث فيهِ احد بحثاً علمياً الاَّ في اواسط القرن الثامن عشر. واول من نبَّه الافكار اليهِ فردرك مسمر

ولد هذا الرجل في اواسط سنة ١٧٣٣ ودرس الطب في ڤينا ورغب في علم التنجيم وكان يظن ان للنجوم تأثيراً في احوال الناس ونسب هذا التأثير الى الكهربائية ثم الى المغنطيسيَّة وجعل يحاول معالجة المرضى بالمغنطيس إما لسخافة عقلهِ او لأن علم الطب كان قد انحطَّ الى درجة التدجيل

وكان في سويسرا قس اسمهُ غَسنر يدَّعي انهُ يشفي الامراض بالكلام والاشارات فيوقف المريض امامهُ ويستهويهِ بتلحين بعض الالحان ويقول لهُ لقد شفيت من مرضك فيشفى. ولعلهُ كان يفلح في شفاء الامراض العصبيَّة او الاعتقالات الحادثة عن فعل عصبي. اما هو فكان يدعي ان المرض فعل شيطاني وهو يخرج الشيطان من المريض او يزيل سلطتهُ عنهُ فيشفى. فلما رآهُ مسمر ورأى انهُ يشفي الامراض من غير مغنطيس لم يعد يعبأ بالمغنطيس بل قال ان قوة الشفاء تصدر من الانسان نفسهِ وتؤَثر في المريض فسماها بالمغنطيسيَّة الحيوانية

وانتقل مسمر الى باريس سنة ١٧٧٨ فالتفَّ عليهِ خلق كثير ودعيت هذه القوة الغريبة بالمسمرزم نسبة اليهِ . وصدَّق بهِ كثيرون من الكبراء والعظماء فنقم عليهِ الاطباء وبيَّنوا انهُ دجال

ولما كثر عليهِ المرضى المستشفين بعلاجهِ حتى صار يتعذر عليهِ ان يعالج كلاًّ منهم على حدتهِ صار يربطهم بعضهم ببعض ويوصلهم بحوض كبير فيهِ قناني مملوءَة بالماء وبرادة الحديد ويجعل بعض المغنين يغنون لهم باصوات رخيمة فيصيبهم نوع من الذهول او الصرع الهستيري فيضطربون او يضحكون او يعانق بعضهم بعضاً وبعد ان تمرَّ عليهم ساعات على هذا النمط يصيبهم شيءٌ من الانجذاب والخمول

قال المسيو بينه العالم الفرنسوي واصفاً تلك المشاهد

” كان مسمر يلبس سترة من الحرير القرنفلي اللون ويمشي ذهاباً واياباً بين الجمع المضطرب وبيدهِ قضيب من الحديد يلمس بهِ اجسام المرضى المصطفين حولهُ ولاسيما الاعضاء المريضة وقد ينظر الى المريض طويلاً ويلمس بطنهُ وخاصرتيهِ ويكرّر ذلك مرةً بعد أُخرى ساعات متوالية . واذا اراد ان يزيد تأْثيرهُ فيهم وصل بهم مجرى كهربائيًّا قويًّا . وجعل يلمس ابدانهم باصابعهِ مبتدئاً برؤُوسهم ومنتهياً باقدامهم . وكان الفتيات يسررن بذلك ويتبعنهُ من مكان الى آخر ويقلنَ انهُ يستحيل عليهن ان لا يتعلقنَ بهِ “

والمظنون ان مسمر لم يكن خادعاً بل كان مخدوعاً بنفسهِ لكن اكادمية العلوم ضيَّقت عليهِ فغادر فرنسا ثم عاد اليها وتوفي سنة ١٨١٥ . واحتقرهُ الناس قبل موتهِ وقالوا انهُ دجَّال والَّفوا رواية هزلية للسخرية بهِ . وكتبت الجرائد الانكليزية وصفات طبيَّة للهزء بهِ مثل هذه

الاكسير المغنطيسي . خذ من زيت الخوف والرعب اربع اواقي ومن روح الوهم رطلين وضع المادتين في زجاجة الخيال واتركهما فيها اياماً واشرب من ذلك اربعين نقطة في الصباح فتشفى من كل الاسقام

واقتفى كثيرون خطوات مسمر ولكن لم يبحث احد منهم بحثاً علميًّا عن حقيقة المغنطيسيَّة الحيوانية الى ان قام الدكتور بريد الانكليزي والظاهر انهُ انكر المغنطيسيَّة الحيوانية في اول الامر انكاراً باتًّا لكنهُ رأَى رجلاً من الذين يستعملونها في التطبيب اسمهُ لافونتين فاقنعهُ بصحتها . قال لافونتين هذا في كتاب نشرهُ سنة ١٨٦٦ اي بعد موت بريد بست سنوات انهُ شفى كثيرين من الخرس والعمي والمصابين بالصرع في مستشفى برمنهام وعاد الى لڤربول فلم يفلح فيها فمضى منها الى منشستر فنجح فيها نجاحاً تامًّا وكسب منها ثلاثين الف فرنك

ونوَّم كثيرين من وجهائها وشفى بعض المصابين بالصمم ولما انصرف عنها قام الدكتور بريد وخطب خطبة برهن فيها ان المغنطيسيَّة الحيوانية وهم من الاوهام . وكتب بعضهم الى لافونتين ليعود الى منشستر ويرى ما يدَّعيهِ الدكتور بريد فعاد اليها ورأى ان الاساليب التي يستعملها الدكتور بريد للتنويم المغنطيسي لا ينام بها احد وان بريد سمَّى المغنطيسيَّة الحيوانية بالتنويم او الذهول انتهى . الَّا ان الذهول الذي اشار بهِ الدكتور بريد هو الذي ثبت على الامتحان . وتعليلهُ لهُ هو اول تعليل علمي وهو ان التحديق المستمر يشلُّ المراكز العصبية المتسلطة على العين ويزيل توازن المجموع العصبي فيرتخي جفناها وينطبقان . فصار يمسك بيدهِ شيئًا لامعًا امام عيني من يريد تنويمهُ ويرفع يدهُ بهِ حتى يضطر الناظر اليهِ ان ينظر الى الاعلى فيتعب سريعًا ثم يدني الشيء اللامع منهُ رويدًا رويدًا فتتعب اجفان عينيهِ وتنطبق واذا لم تتعب في النوبة الاولى كرَّر ذلك عليها وامر الناظر ان يوجه عينيهِ وعقلهُ الى ذلك الشيء

وقام كثيرون من العلماء بعد بريد في اوربا واميركا وبحثوا في التنويم واساليبهِ وفوائدهِ ومضارهِ وجمهورهم على ان سببهُ الاستهواء وان الذين ينوَّمون بسهولة اعصابهم ضعيفة وقد ينامون من غير استهواء ولكن هذا لا ينفي فعل الاستهواء بالذين اعصابهم سليمة . واشتهر برنهيم في معالجة المرضى بالاستهواء في ننسي فصار الناس يقصدونهُ من كل فج ولقبوهُ برجل الله

ولذلك يقسم تاريخ التنويم او الذهول الى اربعة اقسام الاول الزمن الذي مرَّ عليهِ قبل ايام مسمر حينما كانت افعال التنويم تنسب الى قوة روحية او شيطانية والثاني زمن مسمر حينما صارت تنسب الى فعل مغنطيسي قائم في الشخص المنوَّم . والثالث زمن بريد الذي نسب التنويم الى فعل فسيولوجي محض . والرابع زمن برنهيم وشركو وغيرهما من الذين ينسبون كل ظواهر التنويم الى فعل الاستهواء

(٢) حقيقة التنويم

لكل انسان حالات مختلفة من الشعور تتغيَّر بتغيُّر المؤَثرات التي تؤَثر فيهِ . افرض انك جالس في نادٍ تسمع خطبةً علمية فما دمت منتبهًا لها لا تشعر بشيءٍ آخر شعورًا شديدًا ولكن لا يكون دماغك خاليًا من كل شعور لانك قد تشعر ان المقعد الذي انت جالس عليهِ بارد او حار او خشن وان جارك قلق في مجلسهِ او نائم وان واحدًا وراءك يتكلَّم مع جارهِ . وقد تقوى هذه المؤَثرات فيتحوَّل انتباهك اليها كما اذا شعرت بحرارة شديدة في المقعد الذي انت عليهِ او اذا كبا جارك لوجههِ فاصاب رأسهُ ظهر المقعد الذي امامهُ او علا صوت الرجل الذي

وراءك فتصير افكارك تثب من موضوع الى آخر اي تتشتت ولا تبقى مجتمعة كما كانت اولاً .

ويحدث لك مثل ذلك اذا نعست وصرتَ بين النوم واليقظة فان الافكار تتوارد على ذهنك حينئذٍ وكلٌّ منها يحاول ان يقيم فيهِ ليستأثر بهِ ويُطرد ما سواهُ فتختبط الافكار اختباطاً وتصير المؤثرات الخارجية تؤثر فيك تأثيراً كبيراً فاذا سخن فراشك ظننت انك زججت في اتون واذا بردت قدماك ظننت انك حافياً تمشي على الثلج واذا كنت قد ثقَّلت عشاءك حسبت انك في معركة دمويَّة وجسمك هدف لنبال الاعداء . ثم تزول الاحلام رويداً رويداً اي يزول هذا الشعور المختبط المرتبك ويستولي عليك السبات رويداً رويداً الى ان تنام نوماً عميقاً خالياً من الشعور

وهذا حال من ينام النوم الصناعي او المغنطيسي تضطرب افكارهُ اولاً ثم تصير كالاحلام ثم ينام نوماً خفيفاً ثم نوماً عميقاً يستغرق فيهِ

والنوم الطبيعي والصناعي متشابهان الاَّ ان الصناعي يحدثهُ آخر ولا بدَّ لمن ينامهُ من ان يثق بفعل المنوِّم وبالاستهواء ويستيقظ عقلهُ الباطن فيصير يتذكر اموراً نسيها في اليقظة ويعمل ما يؤمر بهِ وتبدو عليهِ علامات الشعور بحسب ما يلقى اليهِ فاذا أُطعم سكَّراً وقيل لهُ هذا صبر تأفف من طعمهِ كأنهُ يأكل الصبر السقطري واذا أُطعم صبراً وقيل لهُ هذا سكَّر استطاب طعمهُ كأنهُ سكر

ويحدث هذا النوم من تعب الاعصاب كما قال الدكتور ريد اما سائر افعال المنوَّمين فلا تعلَّل بتعب الاعصاب بل بافعالها المختلفة فالتيبُّس مثل الذي تتيبَّسهُ اعضاء النائمين النوم المغنطيسي سببهُ ان الدماغ ينبّه العضلات حتى تتوتَّر على اشد قوتها . فاذا امسكتْ فتاة عصاً بيدها وحاولتَ نزعها منها طاوعتك عضلاتها حالما تتعب من الشد . هذا اذا كانت مستيقظة واما اذا كانت نائمة النوم المغنطيسي فان دماغها يأمر عضلاتها لكي لا تطاوع من يحاول نزع العصا منها . وقوة العضلات شديدة جدًّا ولكننا لا نستعملها كلها في اليقظة

وبذلك يعلَّل ايضاً زوال الالم من الذين ينامون النوم المغنطيسي فانك اذا نخست اصبعك بابرة شعرتَ بأَلم شديد ومركز هذا الشعور ليس في اصبعك بل في دماغك فاذا زال الشعور من الدماغ بمخدر من المخدرات كالافيون والبنج لم تشعر بالالم وكذلك اذا زال هذا الشعور بالاستهواء اي باقناع العقل ان الالم قد زال

وبهِ يعلل عدم خروج الدم من اجسام المنوَّمين اذا نخستها بابرة لان الدم الذي يخرج من ظاهر الجسم يخرج من الاوعية الشعرية وهذه تضيق وتتسع بواسطة الاعصاب فاذا قبضتها

الاعصاب حتى ضاقت لم يعد الدم يخرج منها فلا يخرج من الجلد مكان نخس الابرة

وكذلك الشعور بالطعوم المختلفة فعل عصبي فاذا سمع النائم اسم السكَّر تذكر الشعور الذي كان يشعر بهِ حينما يأكل السكر فشعر بهِ واذا سمع اسم الصبر تذكر الشعور الذي كان يشعر بهِ حينما يأكل صبرًا فشعر بهِ. ويحدث مثل ذلك في اليقظة فاذا اكل انسان لحمًا واستطابهُ حاسبًا انهُ لحم ضان ثم قلت لهُ انهُ لحم كلب جاشت نفسهُ وتقيأ ما اكلهُ كراهةً واذا تذكر اكلةً طيبة فاض لعابهُ كأنهُ يتهيأ لاكلها وكذلك اذا ذكر لهُ طعم حامض. ويحدث ايضًا في النوم الطبيعي فيحلم النائم انهُ اكل اكلةً طيبة فيستطيبها او سمع نغمًا مطربًا فيطرب لهُ اي يتذكر هذا الشعور تذكرًا

والافعال التي يؤْمر بها النائم فيفعلها بعد ما يستيقظ تعليلها ان عقلهُ الباطن يذخر المؤَثرات التي تؤَثر فيهِ حال نومهِ فتفعل بهِ في اليقظة ايضًا

واغرب من ذلك ان يقال لهُ ان على بدنك حرَّاقة ولا يكون عليهِ سوى ورقة بسيطة فيحمر ما تحتها كأنها حرَّاقة صحيحة وما ذلك الاَّ لانهُ يشعر حينئذٍ شعور من توضع حرَّاقة على جسمهِ وهذا الشعور يؤَثر في الاعصاب التي تتحكم في ورود الدم الى المكان الذي قيل ان الحراقة وضعت عليهِ فيكثر ورودهُ اليهِ كما لو كان عليهِ حرَّاقة حقيقية

ومن هذا القبيل ان البعض يتوهمون انهم جرحوا في مكان ما من جسمهم فيحمر ذلك المكان ويخرج منهُ الدم

ومنهُ ان من كان لمفاوي المزاج رضيَّ الاخلاق تجرح يدهُ مثلاً او ينبت داحس في اصبعهِ فلا يكترث لهُ فيشفى حالاً واما العصبي المزاج الشديد القلق الذي يعظّم الامور ويصيّر الحبَّة قبة فاذا جرحت يدهُ التهبت وعسر شفاؤُها واذا اصابهُ داحس اضطرهُ الى عملية جراحية لشدة فعل اعصابهِ باعضائهِ

اما المنوّمون الذين يعرضون اعمالهم في المحافل العمومية لادهاش الناظرين والتعيُّش من اموالهم فقلما يعتمدون على افعال التنويم الحقيقي او قلما يكتفون بها والغالب انهم مشعوذون يستعملون الخفَّة والتدجيل ويعتمدون على الوهم الذي يستولي على الحضور حتى يروا الامور على غير ما هي عليهِ ويسمعون الاقوال على غير ما قيلت فهم الذين ينذهلون ويخدعون انفسهم. وقد يكون واحد من المشعوذين بارعًا في تكييف صوتهِ حتى تسمعهُ من رفيقهِ لا منهُ فيفعل بهِ غرائب الافعال كما ابنا في مقالة سابقة

اكتشاف مصري عظيم

اذا قلنا "اكتشاف مصري" لم نعنِ اكتشافاً علمياً يعود بالنفع على نوع الانسان كاكتشاف التلغراف والتلفون ومصل الدفثيريا وما اشبه بل اثر من آثار الاولين . لاننا لا نزال في المشرق نعيش في الماضي واعمال اجدادنا اعظم من اعمالنا بما لا يقدَّر خلا ما يعملهُ الاجانب في بلادنا

والاكتشاف المشار اليهِ اكتشفهُ الاستاذ نڤيل في خرائب طيبة في السابع من شهر فبراير الماضي . فانهُ هو والمستر هول اكتشفا سنة ١٩٠٣ هيكلاً مصريًّا قديمًا من عهد الدولة الحادية عشرة في الدير البحري امام لقصر ومن ثم جعلا ينقبان عن هذا الهيكل وقد ساعدهما في ذلك المستر ايرتن ثم المستر كُرلي

وكان هل وكرلي ينقبان هذا الشتاء في الجهة الجنوبية من الهيكل فاكتشفا غرفًا من غرف الكهنة يمتد تاريخها من عهد الدولة الثانية عشرة الى عهد الدولة الثامنة عشرة واكتشفا ايضًا سور الحرَم الجنوبي . وهذا السور مثل السور الجنوبي في هيكل الملكة هتشبسو العظيم الذي تبيَّن انهُ السور الشمالي لحرم هيكل من عهد الدولة الحادية عشرة

ثم جعل المستر هول ينقب في مؤخر الهيكل ليعرف كيف ينتهي فاكتشف دارًا واسعة على جانبيها صفان من الاعمدة متجهان نحو الجبل وهي منحوتة في الصخر

وكان هول وايرتن قد اكتشفا سنة ١٩٠٤ بناء من عهد الدولة الثامنة عشرة في مؤخر هذا الهيكل فجعل الاستاذ نڤيل ينقب فيهِ فاكتشف الاكتشاف العظيم المشار اليهِ في صدر هذه النبذة وذلك انهُ اكتشف اولاً غرفةً منحوتة في الصخر جدرانها مغطاة بصور بارزة تمثل الملك تحتمس الثالث يقدّم التقدمات الى الاله امن ووجد في وسط هذه الغرفة بقرة من الحجر ملونة ومذهبة وهي بقدر البقرة الطبيعي . والبقرة رمز لهثور الهة آكام الصحراء الغربية التي كانت تعبد بنوع خاص في الدير البحري . وقد صُنع هذا التمثال للملك امنهتب الثاني خليفة الملك تحتمس الثالث . وهذه الغرفة لا تخص الهيكل الذي من عهد الدولة الحادية عشرة ولو كانت في آخرهِ بل تخص هيكل الدير البحري نفسهِ وهي من عهدهِ والظاهر انها كانت محرابًا لهذا التمثال . وهذه اول مرة وُجد فيها تمثال في محرابهِ سليمًا من كل كسر فضلاً عمَّا في هذا التمثال من دقة الصناعة . وستنقل الغرفة والتمثال الى دار التحف في القاهرة

والدير البحري اغنى الهياكل المصرية القديمة بالآثار الدينية المتعلقة بالمعبودة هثور من عهد الدولة الثامنة عشرة وهي في الغالب تماثيل صغيرة من الخزف المدهون تمثّل البقرة التي يرمز بها الى تلك المعبودة او تمثل هذا التمثال عينهُ

وعلماء العاديات والراغبون فيها ينفقون على اكتشاف هذه الآثار القديمة لمجرد اللذة العلمية او الغيرة الدينيَّة فيحققون بها امرًا مذكورًا في التاريخ او خبرًا واردًا في التوراة لا قصد اكتشاف الخبايا القديمة من ذهب وحجارة كريمة كما فعل العرب لما استولوا على هذه البلاد ونقبوا آثارها واتلفوها . وقد يكون تمثال الحجر اذا تعلقت بهِ بعض الحقائق العلمية او التاريخية اثمن عند علماء الآثار من تمال الذهب . ولذلك لم يكد الاستاذ نفيل يكتشف هذا الاكتشاف حتى طيَّر خبره الى الجرائد الاوربيَّة الشهيرة وارسل صورتهُ اليها فنشرتها وجعلت تحث الناس على مساعدة جمعيات النقب عن الآثار المصرية بالمال حتى يتيسر لها اكتشاف ما لا يزال مدفونًا في هذا القطر من آثار سكانهِ السالفين

الخطة المثلى

للدراري هبْ قد بلغتَ اعتلاءَ   أَفترضى في اوجهنَّ بقاءَ
لا لعمري ولست بالتاج ترضى   او بمثوى ولو بلغت السماءَ
أَيهذا الحرّ الارادة لا لا . .   أَرقيقَ الاطماع زدتَ اغتواءَ
لستَ الاَّ كرميةٍ قذفتها   قوس سرٍّ يسعى بنا كيف شاءَ
فعراكٌ بين البرايا طويل   من جراح الجميع اجرى الدماءَ
تتفانى لكسب ما تبتغيهِ   وسواءٌ افاد ذا ام أَساءَ
ذا التفاني حبًّا بطول اغتباطٍ   كم وكم قد أَدنى اليك الفناءَ
كلما المرءُ في المراتب اضحى   مسعد الجد زاد فيها شقاءَ

⁂

كم هصور قد شق مهجة ذئبٍ   طول نابيهِ كم افر ظباءَ
كم ظلوم قد صب كاس احتكام   بضعاف بالضعف لاقوا البلاءَ
اذ اتاهُ مفاجئًا رب حولٍ   بات والكاس للقوي سقاءَ
ايمين الاطماع كفًّا لسيفٍ   بازدياد الكفاح زاد مضاءَ

كم بريءٍ قد راح فيهِ شهيدًا   وقوي يزداد معهُ عناء
ليس حد لطامع في مناه   لغليل الظمآن يغدو شفاء
بوجودٍ واللانهاية فيهِ   لاخي البحث كم تزيد جلاء

⁂

انت ضيف أيا ابن آدم حينًا   فوق ارض كم قد طوت كبراء
سكِّن النفس واتئد بسباقٍ   حيث لا يرتجي المجدُ بقاء
بين جد حشا الكدود مذيبٍ   وسكونٍ يولي الجسوم ارتخاء
ثم فرقٌ لدى اللبيب جليٌّ   بين بين الحكيم يبغي استواء
كم غني قد زاد عنهُ غناه   الف ضعف ويستزيد ارتقاء
بحلالٍ اثريت او بحرام   او بغدر تردي بهِ الرصفاء
مال "روشلد" لوحويتَ فيومًا   بعد ذا العمر لا تنال شراء
مثل هذا الغني بالكون تلقى   روَساء البلاد والعلماء
بنزاع وشقوة ودفاع   وعراك كم اضعف الأَقوياء

⁂

ايها الخلق ساء عهد ارتقاء   بالبلايا على البرية جاء
فاحتكار في قاصيات بلادٍ   لاتّجار يوافق الاغنياء
باغتباطٍ باتوا بها وسواهم   عند فتحٍ قضوا بها شهداء
ان عيش الرخاء حسبُ حكيم   باعتدال بهِ ينال الصفاء
بثبات وهمة ونشاطٍ   قام يسعى ويستريح مساء
مستنير الضمير برًّا وفيًّا   ليس يبغي عن الكمال التواء
وبرفق يسعى لما يبتغيهِ   ونداهُ يؤازر البؤساء
يردع النفس عن طوال الاماني   برجاء يجر معهُ رجاء
واغتباط الفؤاد اعظم غنم   باحتواهُ قد خادن السعداء
مثل هذا اغني غنيٍّ بحق   وعظيم يستصغر العظماء

حمص   شاكر نعمة الله سلوم

الشعر والشعراء

هل عرفتم لعاشقٍ نظراء   عشقَ الارضَ قلبهُ والسماء
تقطع البرَّ منهُ لحظةُ عينٍ   حين يجتاز فكرهُ الجوزاء
يصلح الحسنُ عندهُ كل خلقٍ   فيسوّي الاحياء والاشياء
شبَّ مذ شبَّ عاشقاً لا يبالي   حكمةً كان عشقهُ ام خطاء
عشق الروض والغياض وازها   رَ الروابي والاغصن الخضراء
وصغار النجوم تبدو وتخفى   والدراريَّ والقبة الزرقاء
وفضاء البحار والسحب تحكي   سُفُناً تحتها تشقُّ الماء
وسكونَ الدجى كأَن الكرى التى عليهِ   مع الظلام غطاء
وحفيفَ الاوراق تهتزُّ من عشقٍ   لان الغصون تهوى الهواء
هام بالغاب زانها الشجر العالي   وزان الفضاء والصحراء
يسمعُ الوحشَ والطيور فيهوى   كلَّ صوتٍ كأَن فيهِ غناء
ايُّ تاجٍ يتوّجُ الغابَ في كلّ   صباحٍ يزال عنها مساء
دررٌ من اشعَّة الشمس صيغت   ملأَتها مهابةً وبهاء
واذا الشمس بالحجاب توارت   تكتسي الغاب حلةً سوداء
تحتها تنضوي الطيور فتمسي   دونها كلُّ جنةٍ غناء
ان في الغاب للقوافي عروساً   جمة الحسنِ تفتن الشعراء
تتراءى فلا يراها سواهم   وهي ليست لغيرهم تتراءى
ولذا يرتجي من الزمن الشاعرُ   لو أنهُ يجيب الرجاء
عيشةً في الخلاء لا عيب فيها   غير ان لم يسمع الغوغاء
حيث لا خبث في الهواء ولا في   الترب والماء يجلب الادواء
حيث لا رزق كلما ركض المرء   مجداً وراءهُ يتناءى
فهو ما بين خوف سبقٍ وكدٍّ   كغريق يصارع الانواء
لا تطيب الحياة الّا لمن يهربُ   منها ويهجرُ الاحياء

⁂

ليت شعري متى ارى شعراء   الشرق يوماً بفضلهم اغنياء

ورثوا من تقدموهم فنالوا   شرَّ إرثٍ مذلةً وشقاء
بين هجوٍ كالسبِّ او هو أدنى   ومديحٍ تَعدُّهُ استجداء
عُوّدوا الذلَّ فالكبيرُ كبيرٌ   فيهم حين يسألُ الكبراء
ليس كالمالِ للقرائح سُمٌّ   حين يلهو بيعًا بها وشراء
انما الشعر للنفوس غذاءٌ   أفسدوهُ فصيروهُ هذاء
يتبع الشعرُ اهلهُ فامتهانًا   وابتذالاً او عزَّةً وإباء

⁂

ايها الشاعرُ اتقِ الله واذكر   أنَّ للشعر حكمةً علياء
كن دليلاً الى سبيلٍ سويٍّ   ومنارًا يبدِّدُ الظلماء
ثمَّ لا تنسَ موطنًا كانَ يومًا   لك كالأمِّ نسبةً ونماء
فاحترم عهدَهُ وعهدَ بنيهِ   ثمَّ عُلمهُم كذاك الوفاء
علِّمِ الشعب انَّ للشعب دينًا   يمنح النفس قوةً ورجاء
قل لهُ أنهُ كذلك حرٌّ   يعبُدُ الله مطلقًا كيف شاء
خُلقَ الدين رحمةً غير انَّ   الناسَ كانوا لبعضهم اعداء
نبذوهُ سرًّا وشادوهُ جهرًا   واقاموا منهم لهُ رُؤَساء
فانبرى بعضهم عدوًّا لبعضٍ   يخدعون الجهَّالَ والبسطاء
عمرك الله ليس اعجب امرًا   من رؤوسٍ تهشِّمُ الاعضاء

⁂

ليس هذا القريض الاَّ حديث   الروحِ أوحتْ بنظمهِ إيحاء
فتملكْ بهِ العواطفَ واملأْ   كل نفسٍ فضيلةً وعلاء
واتخذهُ الى القلوب سبيلاً   وتلطفْ تصطدْ بهِ العنقاء
لا تهاجم بهِ عفاف العذارى   لا تضلِ الاحداث والضعفاء
لذ برأي الجمهور في كلِّ صعبٍ   وصُنِ العدلَ وارحم البؤَساء
لا تصف أيَّ حالة قبل ان تدرسَ منها الافعالَ والاسماء
لا تقلدْ فيهِ ولا تتكلف   في المعاني مشقةً وعناء
قل سلامٌ على القديم وَدَعهُ   كفانا نقلِّدُ القدماء
وتعلَّم اذا رأيت دعيًّا   كيف تعمى عن ان تري ادعياء

وتجلّدْ لصنعةٍ وَهَبَ الله   ذويها تجلداً وعزاءَ
لهوًى في نفوسهم زاولوها   وكذا الله يخلقُ الاهواءَ
عشقوها فأسكرتهم زماناً   ثمَّ ماتوا من سكرهم فقراءَ
فهمُ كالشموع تفنى احتراقاً   وهمُ كالشموع تلقي ضياءَ
رحم الله من مضى ولنفاخرْ   ان للعلم عندنا شهداءَ

القاهرة   نقولا رزق الله

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الفتاة

بقلم مدام اسحق صروف

يجدر بالكاتب وقد خطت هذه البلاد في سلم المدنية شوطاً بعيداً نظراً الى ما كانت عليهِ منذ نيف وعشرين عاماً ولا سيما بعد النهضة الادبية التي يقوم بها سراة هذا القطر وكرامهُ بانشائهم المدارس للتثقيف والتهذيب ان يجيل القلم محوّلاً انظار اولئك الوجهاء الافاضل الى حالة تعليم البنات في هذا القطر ناحياً في ذلك نحو افاضل كتاب الغرب اذ جعلوا البحث في ترقية المرأة واعلاء مقامها غرضاً يرمون اليهِ ومضماراً تتبارى فيهِ جياد كتّابهم ويقدحون لهُ زناد افكارهم

ولما كانت حياة الرجل ترتبط بالمرأة ارتباطاً لا انفكاك لهُ اذ هي سبب سعادتهِ او شقائهِ رأيت ان اتحف القراء الكرام بسؤالين بعث بهما كاتب مشهور من كتّاب الانكليز الى بعض الكتاب المشهورين في عالم الادب والتحرير قائلاً ان ما ينظرهُ الغير من العيوب والنقائص في اخلاقنا لا ننظرهُ نحن . اما السوآلان فهما

(١) ما هي العيوب الاكثر شيوعاً بين طبقات الفتيات اللواتي تعرفونهنَّ ؟

(٢) ما هي المبادئ الجوهرية التي يجب على المرأة ان تتحلّى بها والاخلاق التي يجب ان تتخلق بها ؟

قال الكاتب وقبل ان أبدأ بسرد الاجوبة التي وردت عليَّ من اولئك الكتَّاب لي كلمة اقولها . لا مشاحة في ان كل فتاة لا تبذل جهد طاقتها في معرفة ما استتر من عيوبها من تلقاء نفسها لهي جديرة بالشفقة والحنان . وكلَّما اكتشفت نقيصة فيها انتصرت انتصارًا باهرًا اذ تجتنب تلك النقيصة . واجتنابها لها يذكي فيها روح الهمة الى اكتشاف سواها ممَّا يعدهُ الغير نقائص فيها

فقد قال احد الحكماء كلما اكتشف العاقل عيبًا خفيًّا فيهِ زاد غنى ومجدًا ليس لان ذلك العيب فيهِ بل لانهُ لم يعد عيبًا مستترًا . ولا بدع فالواجب على المرء ان يهتدي الى مساوئهِ ولو كان في ذلك حطٌّ من انفتهِ وكبريائهِ وكسر لعنان عظمتهِ وخيلائهِ . وكفى المرء نبلاً ان تعدَّ معايبه

ولقد خاطب حكيم من حكماء الانكليز الفتيات قائلاً تأكدنَ ايتها الفتيات ان فيكنَّ نقائص مهما كنتنَّ صالحات ففي استطاعة كل فتاةٍ منكنَّ ان تعرف ما فيها من العيوب فاخلق بكنَّ ان تطهرنَ انفسكنَّ منها بوضع مرآتين نصب عيونكنَّ واحدة لتزيين الوجه وواحدة لتزيين العقل واذا رأيتِ ايتها الفتاة قبح اخلاقك في تلك المرآة فلا تقلبيها وتضعي غيرها مكانها لتريك ان اخلاقك جميلة رضية بل ابذلي ما في وسعك اذا كنتِ نبيلة فاضلة لاصلاح عيوبك فان عيبًا صغيرًا يشوّه جمال الطبع

كلٌّ ينظر الى عيوبهِ بعينين والناس تنظر الى عيوبهِ بعيون فانتنَّ لا تستطعن ان تنظرن عيوبكنَّ كما ينظرها الغير . وصديقك ايتها الفتاة من صدقكِ فالمَكِ وابكاكِ اليوم ليضحككِ غدًا . فالفتاة التي لا تقبل النصيحة ولا تريد ان تعرف او تقف على عيب من عيوبها المستترة لهي قصيرة النظر في العواقب واما التي تقبل النصيحة وتعمل بها فانها تزيد حلقة من الجمال على سلسلة حياتها

اما الشبان الذين تكرموا فاجابوا على اسئلتي بصدد ما نحن فيهِ فقد توخوا كل كياسة وظرف . وبديهيٌّ ان حميدي الاخلاق المفطورين على النبل وكرم الخلال يتجنبون بيان نقائص الآخرين اذ ايسر على الواحد منهم ان يذكر محامد من يحب ويتجنب ذكر سيئاتهِ . فقد اشار بعضهم الى الملابس فقال ان الفتاة تنفق الوقت الطويل في تنميق ثيابها وتنسيق شعرها وقلما تفكر في شيء آخر . وذهب غيرهُ الى ان تشوُّفها العظيم الى الملابس الجميلة وطمعها في اقتنائها وتحميل ذويها عبئًا ثقيلاً فوق طاقتهم كل ذلك من السيئات الشائعة بين الفتيات . وطالما ادَّى الى خراب بيوت عامرة . وقال آخر انهنَّ يحاولن اكتساب الجمال

بالتبرُّج والطِلاء بالالوان الكاذبة التي لا تلبث ان تذهب بجمالهنَّ الطبيعي ولو انفقن معظم اوقاتهنَّ باعمالهنَّ المنزلية لاستفدن وافدن وذلك خير من ذهابهنَّ الى دكان بضاعة ينفقن معظم اوقاتهنَّ فيهِ

وكتب اليَّ احدهم فقال ان اتّباع الفتيات للازياء الجديدة اتباعاً فائق الحد امر غير محمود وداعٍ الى الاسراف في غير محلهِ وان كان لكل جديد طلاوة . وكذلك يقال في اهتمامهنَّ الشديد بزينتهنَّ الخارجية واهمالهنَّ لزينتهنَّ الداخلية . فالواجب على كل امرأة ان تراعي خطة الاعتدال في الملابس غنية كانت او فقيرة

واشار بعضهم الى ان فتياتنا يفتقرن الى الرصانة والنهضة الادبية وترك الطيش والحيد عن جادة الحق . فان هذا كلهُ ينشأ عن فسادٍ عام في الهيئة الاجتماعية اذ المبادئ الصحيحة والغايات القويمة السامية في الحياة تتطلب ضد ذلك على خط مستقيم . واقدس الواجبات التي يجب على الفتاة اتباعها في زهرة صباها يعيبها ثرثرة تعتادها وامور شائنة تتخلق بها وقتل وقتها الثمين في قراءة روايات غرامية تفعل في نفسها فعل الكهرباء في الاسلاك فتراها تذرف الدمع حيناً وتصعّد الزفرات احياناً . قلت انها تقتل وقتها في قراءة تلك الروايات مع ان هنالك كثيرات من بنات حواء ينتظرنَ منها المساعدة والمعونة ان ادبيَّة وان ماديَّة اذ هي قادرة على نفعهنَّ لانها قد تكون اسمى منهنَّ ادراكاً وابلغ علماً واعظم فهماً

وذهب كاتب من اولئك الكتَّاب الى ان من العيوب المحزنة فيهن صرف وقت قصير في التفكير في امور الحياة وبعبارة اخرى حرج صدرهنَّ وسئامتهنَّ ومللهنَّ كلما وقع امر خطير فاذا اعتدن ان يثقفن اخلاقهنَّ من تلقاء نفوسهنَّ بلغنَ مقاماً قصيًّا في الآداب وكنا زينة الحياة الدنيا

وقال آخر ان فتياتنا في اشد الحاجة الى عزم ماضٍ وبُعْد نظر في العواقب حتى لا يقعن في شرك الشبان الادنياء الذين ينصبون لهنَّ الحبال والمصايد فيشغفن بحبهم ولو كنَّ اشد من الصخر قلباً ومن الحديد صلابة . فاذا استطعن ان يقفنَ سدًّا قويًّا في سبيل تيار الشبان الجارف حوَّلن مجرى حياتهم من الشر الى الخير

هذه زبدة الاقوال التي تكرم بها كتَّابنا الافاضل على سؤَالي الاول واجوبتهم هذه لا تخلو من فائدة فالحياة ليست دميةً تلهو بها الفتاة عمَّا يُطلب منها بل هي دقائق تتخللها واجبات مقدسة كما يتخلل الهواءُ دقائق الاجسام . تلك الواجبات القاها الحق سبحانهُ على عاتق كل فتاة

فيافتيات العصر وازهارهُ هذه هي الحياة ويا ربات الحجال ان حياتكنَّ هذه معترك

تفوز فيهِ كل فتاة ذات وقار واحتشام وميل شديد الى اكتساب ما يجلّ مقامها ويعظم قدرها ويرفع شأنها ولا يتم لكُنَّ ذلك الاَّ بعد تثقيف اخلاقكنَّ وترويض عقولكنَّ بمطالعة اقوال الحكماء والعلماء وان كان ذلك لا يتسنى لكنَّ الاَّ في فترات تنتهزنها من ساعات العمل فلا بدَّ من تضحية بعض اوقات الملاهي والمسرات لبلوغ ذلك المقصد الحميد

فلتضع كل فتاة نصب عينيها غاية شريفة ترمي اليها ألا وهي حياة امرأة فاضلة عفيفة غنية جميلة . ولا اعني بالغنى مالاً تالدًا وصل اليها بطريق الارث وانما اعني ان تكون مدبرة مقتصدة تذخر لحوادث الايام ما تدفعها بهِ . ولا اعني بالجمال جمال الوجه وسائر ما يعدهُ الناس جمالاً وانما اعني ادباً وتواضعاً وكمالاً هذه الصفات التي تزيد الفتاة احتراماً واجلالاً

ولقد فوَّق بعضهم سهام الانتقاد الى السيدات بلهجة ينفد الصبر معها ولا سيما اذا كانت القارئة واحدة منكنَّ فقال ان كثيرات لا همَّ لهنَّ الاَّ اغتياب غيرهنَّ فيقلن فيهنَّ كل قول شائن . ولو انت المغتابات على حين غرة منهنَّ لوقفنَ لهنَّ اكراماً واحتراماً وقبلنهنَّ بتلك الشفاه التي اغتابتهنَّ قبلات احرَّ من نفس المحموم

فيا زنابق الحقل ويا ازاهر الربيع اخلصنَ في الحديث وليكنْ كلامكنَّ على الاشياء لا الاشخاص ونكّبنَ عن ذكر معايب صديقاتكنَّ وانبذنَ الاغتياب ظهريًّا والاَّ فما هي تلك الصداقة اذا كانت صديقتكنَّ لا تكاد تخرج من منزلكنَّ وتتوارى عن انظاركنَّ حتى تتحول السنتكنَّ التي كانت تطريها وتسبّح بحمدها ساعة وجودها بينكنَّ الى ناب افعى سامة وتتحول تلك الشفاه التي قبلتها الى ثلم صيتها والطعن عليها . فخير لكن ان تكنَّ صمًّا بكمًا من ان تحركنَ الشفاه ساعيات نامّات . ومما يحرج الصدر ويحزن النفس شيوع ذلك في المجتمعات العائلية وغير العائلية . فاذا لم تتحادثنَ في امور مفيدة ومواضيع ترقي العواطف وتشرفها

فالصمت زين والسكون سلامةٌ   واذا نطقتَ فلا تكن مكثارا

رحمة صروف

فوائد منزلية

الزيت للشعر

البرلنتين الذي يدهن بهِ الشعر زيت خروع نقي ممزوج بالكحول معطَّر . وزيت الزيتون المعطَّر او زيت اللوز يقوم مقامهُ وهو يفيد الشعر الجاف لانهُ يلينهُ ويغذي اصولهُ ويجعلهُ لامعًا جميل المنظر

تقليل السمَن

يشكو بعض النساء من السمَن الزائد واذا قلتَ لهنَّ ان يقلّلن الطعام فيقل سمنهنَّ اجبنك انهنَّ قليلات الاكل جدًّا . وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن لا بدَّ لهنَّ من ان يقللن الاكل ايضاً ولا سيما المآكل السكرية والنشوية والدهنيَّة ويجب ان يكون تقليل الاكل متدرجاً منتظماً فينحف الجسم رويدًا رويدًا الى ان يصير بالقدر المطلوب

لعَب الاطفال

الصبي الصغير يفضل آلة صنعها بيدهِ ميزانًا صغيرًا او قوساً ونشاباً او سيفاً من الخشب على الآلات الثمينة التي تشتريها لهُ . والابنة الصغيرة تفضل لعبةً تصنعها بيدها من الخرق على اللعب الثمينة التي تُشترى لها . فليُترَك الصغار وشأنهم واذا اكثروا من الجلبة فليس من الحكمة ان تنتهرهم امهم ولا سيما اذا لم يقلقوا احدًا بجلبتهم . ولا بدَّ للصغار من مكان يلعبون فيهِ غرفة تخصص لهم في البيت او سقيفة او ساحة فليتركوا فيها يلعبون قدر ما يشاؤون فانهم يتسلّون وتقوى ابدانهم . واذا انتهرتهم امهم دقيقة بعد دقيقة زادت قلقاً على قلق فاضرَّت بنفسها واضرَّت بهم

الهواءُ النقي والماءُ النقي

كتبت لادي باجت المعدودة من كبار الكتَّاب ومن اهل العلم ايضاً انها كانت ترى صديقة لها نحيفة الجسم كاسفة البال وقد بدت عليها علامات الشيخوخة والضعف مع انها لم تناهز الاربعين ثم رأتها بعد سنة او سنتين واذا هي قد استردَّت شبابها وعادت كما كانت في صباها فاستغربت ذلك وسألتها عن قصتها وعما فعلتهُ حتى زال منها ما بدا عليها من الضعف والنحول فقالت العلاج في بركسن هناك يعالج الدكتور غجنبرج على طريقة الدكتور كنيب بالهواء والماء وحسن الاعتناء

ثم قالت لادي باجت انها قصدت ذلك المكان في شهر يناير الماضي وكانت الارض مغطاة بالثلج واقامت فيهِ اياماً فرأت ان العلاج يقوم فيهِ باكل الاطعمة الخفيفة واكثرها من الاطعمة النباتية وشرب اللبن النقي والماء القراح والتعرُّض المستمر للهواء النقي ونور الشمس والنوم الباكر والقيام الباكر . ومن رأيها ان كل احد يستطيع ان يبقى على تمام الصحة ويبلغ

سن الشيخوخة وعليهِ كل امارات الشباب اذا راعى هذه التدابير الصحية الاعتدال في الاكل والاقتصار على شرب الماء القراح واستنشاق الهواء النقي والنوم الباكر والقيام الباكر

ومن غريب ما ذكرتهُ عن الدكتور غجنبرج انهُ يعالج كل انواع الزكام حتى النزلة الوافدة بملاءة كبيرة تُبلُّ بالماء البارد وتعصر جيداً و يعرَّى المصاب و يلفُّ بها جيداً كما يلف الطفل بقماطهِ ثم يدثَّر بالاحرمة الكثيرة ويلقى على سريرهِ من غير حركة فيشفى من الزكام . والذين يستشفون هناك لا يحتذون حذاء ضيقاً مطلقاً واحذيتهم في الغالب خفاف واسعة او نعال تحت اقدامهم واقدامهم من غير جوارب وهم يمشون بها على الثلج ولا يشكون ضيماً

الحذاء الضيق

الحذاء الضيق من آفات الحضارة الحاضرة و يظهر ضررهُ بنوع خاص في الشتاء فان القدم لا تدفأُ في الحذاء الضيق لانهُ يمنع حركة الدم فيها ولا يكون بينهُ و بينها طبقة من الهواء تسخن فتدفأُ هذا فضلاً عن الالم الذي يصيب الانسان من ضيقهِ ومن المسامير التي تتولد منهُ

قنينة العطر

خذ قنينة واسعة وضع فيها طبقة من ورق الورد الجوري وفوقها طبقة من الملح الناعم ثم طبقة من ورق الورد وفوقها طبقة من الملح وهكذا الى ان تمتلئ وتلبد جيدًا وسدها واتركها فكلما فتحتها تضوَّعت منها رائحة عطر الورد

تقطيف الكفوف

اذا اتسخت كفوف الجلد الفاتحة اللون فافركها اولاً بزبدة الطرطير واتركها عليها ساعةً من الزمان ثم امزج محسوق الشب الابيض ومسحوق القصَّار اجزاء متساوية وافرك الكفوف بهذا المزيج واتركهُ عليها الى اليوم التالي ثم انزعهُ عنها بفرشاة وافركها بالدقيق الذي اضيف اليهِ قليل من الاسبيداج او الطباشير ثم امسحها بقطعهُ من الجوخ الناشف

خداع الاولاد

لا تخدع ولدًا على الاطلاق فاذا اردت ان تسقيهُ دواء وكان الدواء كريه الطعم فلا تقل لهُ انهُ طيب الطعم لانهُ ينفر منهُ اشد النفور حالما يشعر بكراهة طعمهِ ولا يعود يصدقك بل قل لهُ انهُ كريه الطعم ولكنهُ يبلعهُ حالاً وتطعمهُ سكَّرًا بعدهُ فيزول طعمهُ الكريه

باب الزراعة

لجنة الجمعية الزراعية

وخلاصة اعمالها

قدمت لجنة الجمعية الزراعية الخديوية تقريراً باعمالها الى اعضاء الجمعية العمومية في اجتماعهم الاخير وخلاصتهُ

اولاً اعضاء الجمعية

ان عدد اعضاء الجمعية زاد زيادة عظيمة في السنة الماضية فبلغ عدد الاعضاء الذين دفعوا قيمة اشتراكاتهم فيها ٣١٣١ وكان عدد الاعضاء الذين دفعوا اشتراكاتهم في السنة التي قبلها ٢٤٣ . والمديريات متفاوتة في عدد الاعضاء الدافعين فيها قيم اشتراكاتهم كما ترى في هذا الجدول

الدقهلية	٩٣٩	جنيهاً
الشرقية	٤٦٥	"
الغربية	٣٥٥	"
القليوبية	٣٠٠	"
المنوفية	١٩٥	"
البحيرة	١٨٢	"
المنيا	١٤٠	"
الاسكندرية ومصر	١٢٩	"
اسيوط	١٢٥	"
الفيوم	١٢٥	"
الجيزة	١١٠	"
جرجا	٠٤٥	"
بني سويف	٠٣٠	"

وعدد الجنيهات يدل على عدد الاعضاء لان قيمة الاشتراك صارت جنيهاً فقط

ثانياً بزرة القطن

ان الجمعية اهتمت بانتقاء بزر القطن العفيفي من البزر الهندي الذي يخالطهُ احياناً وساعدتها مصلحة الاراضي الاميرية فنقت كمية من البزر باليد وزرعتها في قطعة ارض بالسنطة فنتج من محصول هذه القطعة ٢٢٥ اردبًا ووزعت هذا القدر على مزارعين مشهورين بالهمة والاجتهاد في جهات تنتج ارضها عادةً قطناً حسناً وذلك بشرط ان يمكنوا الجمعية من الحصول على البزرة التي تنتج من محصول هذه الزراعة لتوزعها على عموم الاهالي في السنة التالية والكمية التي سيتيسَّر توزيعها في العام المقبل ستكون ٢٥٠٠٠ اردب على الاقل · وينتج من هذا القدر مقدار وافر من البزرة. فعسى ان يتم للجمعيَّة ذلك لان البزرة التي باعتنا اياها في العام الماضي لم تكن منتقاةً على ما يظهر فقد كان الهندي فيها اكثر منهُ في قطن صغار المستأجرين عندنا الذين لم يشتروا البزرة منها واضطررنا ان نقلع شجر القطن الهندي لكي لا يتلف سائر المحصول

ثالثاً الاسمدة الكيماوية

قالت لجنة الجمعية في تقريرها " ان استعمال الاسمدة الكيماوية وعلى الاخص نيترات الصودا يزداد زيادة مستمرة ومنتظمة وقد ثبت نهائيًّا ان محصول القمح والشعير يزداد زيادة عظيمة يترتب عليها ربح وافر للمزارع اذا سمد بنيترات الصودا. ولا يوجد في القطر المصري اراضٍ لا تستفيد زراعة القمح والشعير فيها فائدة عظيمة من نيترات الصودا مهما كان معدنها لان اراضي القطر المصري تحتاج الى النيتروجين الذي في نيترات الصودا اكثر مما تحتاج الى غيرهِ

" واما في ما يختص بالقطن فالنتائج التي ظهرت للآن غير حسنة وعلى العموم يمكننا ان نقرر ان السماد يفيد زراعة القطن في الاراضي الضعيفة اما في الجهات الخصبة فانهُ يزيد نمو النبات اكثر مما يلزم ويؤَخر ميعاد الجني · وفي عزم الجمعيَّة ان تعمل في العام المقبل جملة تجارب في اراضٍ مختلفة المعدن على امل ان تصل الى حلٍّ مرضٍ لهذه المسألة · وعلى المزارع ان يحفظ لزراعة القطن كل ما يوجد لديهِ من سباخ المواشي واما الاسمدة الكيماوية فيستعملها لتسميد باقي المزروعات من القمح والشعير والذرة · وبهذه الطريقة يمكنهُ ان يجد كمية وافرة من الاسمدة الطبيعيَّة للقطن وهذا هو احسن علاج للاشكال الذي نحن بصددهِ الآن "

وقد بلغ ثمن الاسمدة التي باعتها الجمعية في العام الماضي ٦٨ الف جنيه ربحت بها ٢٦٨٣ جنيهاً فقط اي نحو اربعة في المئة

رابعاً قلة محصول القطن

قالت اللجنة التنفيذيَّة في تقريرها انها اهتمت بما هو ظاهر من قلة محصول القطن في السنين الاخيرة مع ازدياد مساحة الاراضي التي تزرع قطناً . وليس ذلك فقط بل درجة القطن ومعدلهُ في الحليج لم يأتيا طبق المرام . والاسباب التي ذكرتها اللجنة لذلك هي اولاً قلَّة الاسمدة الطبيعية . وثانياً طول زمن المناوبات لان مياه الري الصيفي لم تعد تكفي بسبب ازدياد المساحة واذا لم تطل مصلحة الري مدة البطالة اضطرَّت ان تحرم بعض الاراضي المزروعة قطناً من مياه الري فيترتب على ذلك اعدام محصولها بالمرَّة . وثالثاً غمر اراضي القطن بمياه الفيضان عند ابطال المناوبات بعد تجفيفها زماناً طويلاً

ويظهر لنا ان السبب الاكبر لقلة محصول القطن وضعفهِ هو زرع الارض قطناً مرةً كل سنتين بدلاً من زرعها مرةً كل ثلاث سنوات وذلك اولاً لان القطن يأخذ من الارض مواد غذائية لازمة لهُ ولو كانت قليلة في كميتها فلا تستردها الارض بسهولة اذا استراحت منهُ سنة واحدة بل لا بدَّ من ان تستريح سنتين او اكثر . وثانياً لان القطن يروى مراراً كثيرة في فصل الصيف حين اشتداد الحر والتبخر فيتبخر ماء الري حالاً من الارض ويبقى فيها الملح الذي كان فيهِ . ولو كان الماء غزيراً يصرف من الارض صرفاً كما يصرف ماء الارز لاخذ الملح معهُ . وثالثاً ان الاراضي الواقعة على اطراف الترع الطويلة تضرُّ غالباً اكثر من غيرها بالري الصيفي لان هذه الترع قلما تسلم من تجلُّب المياه اليها مما يجاورها فتختلط مياهها بقليل من مياه الصرف ويزيد الملح فيها فاذا رويت بها الاطيان التي عند اذنابها رياً صيفياً متوالياً فالغالب انها لا تسلم من الضرر

خامساً الحشرات المضرة

وهي دود ورق القطن ودود لوز القطن . ودود اللوز اشد ضرراً من دود ورق القطن ولهُ فراش صغير يضع بيضهُ على اللوز فيفقس منهُ دود صغير يخرق اللوز وحينما تكبر الدودة تصير تنتقل من لوزة الى أُخرى وهي تصيب اللوز في كل اطوار نموهِ . ويكثر فتكها في شهر سبتمبر . وقد ثبت للعالم بعلم الحشرات الذي استخدمتهُ الجمعية لهذه الغاية ان دودة اللوز تكون اولاً على النباتات التي من فصيلة القطن كالبامياء والتيل . فاشارت اللجنة بان جذور التيل يجب ان تقلع كلها من الارض وقت قطعهِ لئلاَّ تفرخ ثانيةً ويغتذي دود اللوز منها في فصل الشتاء وكذلك جذور القطن يجب قلعها حتى لا تفرخ وتكون مقرًّا لديدان اللوز . ولا يجوز تخزين حطب القطن في الغيطان من سنة الى أُخرى . والبامياء التي تزرع في

مارس وابريل تصاب في اوائل الصيف بهذا الدود . وقد اتلف هذا الدود في العام الماضي مزارع قطن ليس حولها اراضٍ مزروعة قطناً ولكن وجد في جوارها نبات الباماياء ويغلب على الظن ان الديدان انتقلت من الباماياء الى القطن

انواع القطن

نشرت مجلة هرمسورث الموضوعة لكي يعلّم الانسان بها نفسهُ جدولاً بيَّنت فيهِ النسبة بين انواع القطن المختلفة من حيث طول الشعرة وثخنها ومقدار مدها في الغزل فقالت ما يأْتي

القطن الاميركاني

زمام زراعتهِ نحو ٢٧ مليون فدان ومتوسط محصولهِ نحو ١١ مليون بالة وهو اربعة انواع

الاول السي ايلند وطول شعرتهِ من بوصة وثلاثة اثمان الى بوصتين وقطرها $\frac{١}{١٥٦٢}$ من البوصة اي لو وضعت ١٥٦٢ شعرة منها الواحدة بجانب الاخرى لبلغ عرضها كلها بوصة واحدة ومقدار مدها في الغزل ١٣٠ فاكثر وشعرتهُ حريريَّة وتقصر بسهولة وهو اجود انواع القطن كلها

والثاني قطن نيو اورلينس وطول شعرتهِ من بوصة واحدة الى بوصة وربع وثخنها $\frac{١}{١٢٦٠}$ من البوصة ومقدار مدها في الغزل من ٤٠ الى ٦٠ وهو ابيض او ضارب الى الصفرة

والثالث الابلند وطول شعرتهِ من ثلاثة ارباع البوصة الى بوصة وقطرها $\frac{١}{١٢٩٠}$ من البوصة ومقدار مدهِ في الغزل من ٣٠ الى ٤٠ وهو لين ويصلح للحمة

الرابع قطن تكساس وطول شعرتهِ من $\frac{٧}{٨}$ البوصة الى بوصة وقطرها $\frac{١}{١٢٩٠}$ من البوصة وهو ناعم ولكنهُ وسخ ولونهُ يميل الى الدكنة

القطن المصري

كان زمام زراعتهِ سنة ١٩٠٣ نحو مليون و٣٧٥ الف فدان ومقدار المحصول نحو ستة ملايين قنطار وهو اربعة انواع

اولاً الميت عفيف وطول شعرتهِ بوصة وثلاثة اعشار الى بوصة وستة اعشار ومقدار مدها في الغزل ٨٠ الى ١٨٠ وهو اسمر اللون

ثانياً العباسي وطول شعرتهِ من بوصة واربعة اعشار الى بوصة وثمانية اعشار ومقدار مدهِ من ٦٠ الى ٨٠ ولونهُ ابيض ويمتزج جيدًا بالسي ايلند

ثالثاً الاشموني وطول شعرتهِ من بوصة الى بوصة واربعة اعشار

رابعاً الينوفيتش وطول شعرتهِ من بوصة وثلاثة اعشار الى بوصة وستة اعشار ومقدار

مدهِ من ٨٠ الى ١٢٠ وهو دقيق ناعم ولكنهُ اسمر

ومتوسط ثخن الشعر في هذه الانواع كلها $\frac{١}{١٢٦٥}$ اي لو وضعت ١٥٢٦ شعرة الواحدة بجانب الاخرى لبلغ عرضها كلها بوصة واحدة

ويظهر من ذلك ان طول شعرة القطن المصري يقرب من طول شعرة القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند وهو دقيق مثلهُ وقد يمد في الغزل اكثر منهُ

قطن برازيل

صدر منهُ سنة ١٩٠٣ نحو ٦٠٠ الف قنطار وهو ثلاثة انواع متوسط طول شعرتها نحو بوصة وعشرين ومتوسط قطرها $\frac{١}{١٢٦٥}$ ومدها في الغزل من ٣٦ الى ٦٠ . وقطن برازيل كلهُ جاف تلمس خيوطهُ فتظن انها اسلاك من الحديد

قطن بيرو

صدر منهُ سنة ١٩٠٣ نحو ١٦٦ الف قنطار وهو ثلاثة انواع الاول — السي ايلند المزروع في بلاد بيرو وقطر شعرتهِ من بوصة الى بوصة وسبعة اعشار وثخنها $\frac{١}{١٢٠٠}$ ومدها من ٤٠ الى ٥٠ والثاني قطن بيرو الخشن وطول شعرتهِ من بوصة وخمس الى بوصة ونصف وهو يمزج بالصوف لخشونتهِ والثالث قطن بيرو الناعم وطول شعرتهِ من بوصة الى بوصة وعشر وهو ناعم حريري نظيف

قطن ازمير

صدر منهُ سنة ١٩٠٣ نحو ٩٨ الف قنطار وهو نوع واحد قصير الشعر طول شعرتهِ من سبعة اثمان البوصة الى بوصة وثمن وقطرها $\frac{١}{١٥٠٠}$ ومقدار مدهِ في الغزل من ٢٠ الى ٣٦ وشعرهُ خشن متجعد لكنهُ متين

القطن الهندي

مساحة الارض التي تزرع قطناً ١٥ مليون فدان ومقدار المحصول نحو تسعة ملايين قنطار وهو اربعة انواع الاول السورات وطول شعرتهِ من ثمانية اعشار البوصة الى بوصة وعشرين وقطرها $\frac{١}{١١٨٠}$ فهي ثخينة جدًّا ومقدار مدها ١٦ الى ٢٦ والثاني قطن بنغالا وطول شعرتهِ ثمانية اعشار البوصة على الاكثر والثالث قطن روتش وطول شعرتهِ ستة اعشار البوصة الى بوصة والثالث قطن رنجون وطول شعرتهِ ثمانية اعشار البوصة الى بوصة

والقطن الهندي كلهُ قصير الشعر ثخينهُ ومدهُ في الغزل قليل جدًّا ولا يصلح الّا اذا كانت تقاويهِ من بزرة السي ايلند

القطن الصيني

محصولهُ السنوي نحو سبعة ملايين قنطار وهو ابيض خشن قصير الشعر قليل المد في الغزل

قطن جزائر الهند الغربية

بلغ محصولهُ سنة ١٩٠٤ نحو ٣٠٠ الف قنطار وهو من اصلين السي ايلند والوطني والاول طويل الشعر دقيق يمد كثيرًا ولكنهُ ليس من شكل واحد والثاني اقصر شعرة منهُ واخشن

ويتضح من ذلك ان القطن المصري اجود انواع القطن كلها بعد السي ايلند

باب المراسلة والمناظرة

غرائب الشعوذة

حضرات الافاضل منشئي المقتطف

قرأت ما كتبتموهُ في الجزء الثالث عن مناجاة الارواح فرأَيت ان انقل اليكم بعض ما شاهدتهُ بنفسي عسى ان تتكرموا بتعليلهِ

اني لا اعتقد صحة السحر ولا اصدق بهِ وطالما وقفت موقف المعارض لمدَّعي السحر والشعوذة ولي ولع شديد بمناقشتهم ودحض اعمالهم ولذلك فاني كلما سمعت بواحد منهم اجتهد لكي اراهُ وافنّد اعمالهُ واكشف خداعهُ

وقد كنت بالاسكندرية في منتصف الشهر الماضي وسمعت هناك برجل مغربي من اهالي شنقيط نقل اليَّ عنهُ انهُ يأْتي بالغرائب والعجائب ومن ذلك انهُ يخاطب الجن ويخاطبونهُ بمسمع من الحاضرين. ويشير بيدهِ الى اي انسان ممن حضر مجلسهُ فيخرج من ثيابهِ (اي المشار اليهِ) ثعبان عظيم يسعى على الارض . وانهُ يطرح على المائدة او الكرسي سترًا ثم يرفعهُ فلا يراها الحاضرون كأَن الارض ابتلعتها ثم تعود الى مكانها. وغير ذلك مما يندهش الانسان لسماعهِ ولا يصدقهُ

فتاقت نفسي لرؤْية ذلك الرجل وسعيت لمقابلتهِ فاتيح لي ذلك في منزل بعض الاصدقاء ليلاً وقد غصَّ المكان بالمتشوفين الى رؤْية اعمالهِ وكلهم من ذوي الفضل والتعقل . وقد وجدت الرجل بينهم غير مكترث ولا مؤَدب في مجلسهِ لانهُ يقرب ان يكون مستلقيًا على ظهرهِ

وقد وضع احدى رجليهِ على الاخرى . وهو اسمر اللون وفي سن الاربعين تقريباً ولغتهُ مغربية لا تفهم الاَّ بصعوبة

وبعد ان قدمني اليهِ رب المنزل قائلاً عني (انهُ ممن ينكر الجن وعلم القلم وهو يرغب في رؤْية شيء من اسرار هذا العلم) وجدت اثر امتعاض بادياً على وجههِ ثم رمقني بطرفهِ شزراً واعتدل في مجلسهِ وتكلم كلاماً طويلاً لم افهم منهُ غير ما يقرب معناهُ من انهُ لا يحب ان يظهر اسرار علمهِ امام من ينكرها وانهُ لولا انحراف في مزاجهِ لكان اقنعني بالبرهان القوي والحجة الدامغة . . . . الخ

وبعد التي واللتيا ورجاء بعض الحاضرين واستعطافهم اياهُ سمح بان يظهر امامي اربع الاعيب

(الاولى) طلب كوبة ممتلئة ماء فاعطاني اياها قائلاً لفها بمنديلك وضعها داخل اثوابك ففعلت ذلك ثم طلب ورقة كبيرة فاحضر لهُ صاحب المنزل جريدة من الجرائد اليومية فلفها شبه صرة وكتب ورقة صغيرة وضعها داخلها وقال لي اشر الى من تثق بهِ من الحاضرين ليأخذ هذه الصرة بيدهِ فاشرت الى بعض افاضل العلماء ممن في المجلس ولي بهِ ثقة عظيمة فاخذها بيدهِ فتمتم الرجل بعض كلمات لم نفهمها ثم طلب مني كوبة الماء فاخرجتها واذا هي خالية من الماء بالمرة فاخذها مني ونحن جميعاً ننظر اليها ووضعها تحت الصرة السابق ذكرها وثقب طرفها فانسكب منهُ الماء حتى ملأَ الكوبة بالقدر الذي كان فيها اولاً ومن الغريب اننا وجدنا الجريدة التي كانت ملفوفة صرة غير مبتلةٍ . فاخفيت اندهاشي ولم اتظاهر بالاستغراب مثل غيري من الحاضرين وصرت احاول محو ما خامر قلوبهم من غرابة هذه الالعوبة ببعض التعليل العقلي الذي يدور حول محور اللباقة وخفة اليد ولكن كانت نفسي غير مقتنعة بما اقول اذ لم يتبيَّن لي شيء من هذا القبيل

فحنق الرجل عليَّ واغتاظ وقال اظنك افوكاتو فان كنت كذلك فها انا اوقعك في مشكل لننظر ماذا تدافع بهِ عن نفسك

(اللعبة الثانية) طلب من بعض الحاضرين ساعاتهم فاعطوهُ خمس ساعات اعطاني اياها وقال لفها بورقة وامسكها جيداً بيدك فانها وديعة عندك يجب ردها واحذر ان تضيع منك فتناولتها ونظرت فيها جيداً ووضعتها بيدي في ورقة ومسكتها بيدي مسكاً شديداً

ثم طلب الرجل قطعاً من السكَّر فاحضرت لهُ ووضعها في ورقة ايضاً ونحن نراها واعطاها لوجيهٍ من الحاضرين ثم سكت هنيهة وطلب مني الساعات ففتحت الورقة واذا ما فيها قطع من السكر فقال اين ما اودعتهُ عندك ايها المحامي الفاضل فقلت على الفور ها هي الساعات وتناولت

الورقة التي كانت بيد ذلك الوجيه فاذا هي فيها

(اللعبة الثالثة) اعطاني ساعة ذهب واعطى آخر ساعة فضة وبعد قليل طلب مني الساعة فوجدتها فضة وتحولت ساعة الفضة التي بيد الاخر الى ذهب

(اللعبة الرابعة) اخذ كوبة ممتلئة ماء ولفها في منديل كبير وضرب بها الحائط فاذا بالمنديل لا شيء فيهِ وكأن الكوبة دخلت في الحائط ثم طلب مني ان اضع يدي تحت شيء يسترها وانا باسط كفي فاذا بالكوبة موضوعة فوق راحتي . وبعد انقضاء هذا الألاعيب المدهشة لاحظت ان قلماً من الرصاص كان في يدهِ سقط منهُ على الارض بغير ان يتنبه لهُ فدفعتهُ نحوي بعصا كانت بيدي وتناولتهُ بدون ان يشعر بهِ وخبأتهُ في جيبي ثم طلبت منهُ ان يخاطب الارواح فاذعن بعد عناء واستعطاف وبحث عن القلم في جيوبهِ وثيابهِ وحولهُ وتحتهُ فقلت ألا تعرف اين القلم وقد كان بيدك الآن اوَ لا تستطيع بعلم الاقلام ان تعرف موضعهُ فاغتاظ من ذلك غيظاً شديداً وتمتم بكلمات لا نفهمها وبارح المجلس وهو يرغي ويزبد ويتوعدني انهُ في مقام اخر سيحملني على الاذعان والاعتقاد بعلمهِ

فهل عند معارفكم الواسعة من دليل عقلي اعال بهِ اعمال هذا الرجل واقشع عن فكري غياهب تلك الاوهام لانهُ كاد يغلب عليَّ الاعتقاد بوجود شيء اسمهُ سحر ابرهيم زكي

[المقتطف] اذا راجعتم ما كتبناهُ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف تحت عنوان السحر في الشعوذة وفي المجلد السادس والعشرين تحت عنوان السحر الحلال رأيتم فيهِ مفتاحاً لحل اعمال هذا المشعوذ . ويظهر لنا انهُ كان معهُ خادم يساعدهُ فالكوبة التي لففتموها بالمنديل هي غير الكوبة التي كان فيها الماء وقد كان في كمهِ اناء من الكاوتشوك فيهِ ماء وضعهُ في الجريدة لما لفها ثم ثقبهُ فنزل الماء منهُ وملأَ الكوبة . والظاهر انهُ تناول الورقة التي فيها الساعات منكم في اول الامر وحركها بيدهِ ليظهر لكم وللحضور ان الساعات فيها وفي تلك اللحظة ابدل الورقة بورقة اخرى كانت في جيبهِ فيها قطع سكر . ثم ابدل الورقة التي في يد الوجيه بالورقة التي فيها الساعات وانتم لم تنتبهوا وكذلك ابدل الساعتين بخفة فلم تنتبهوا لذلك

والكوبة التي تظاهر انهُ وضعها في المنديل لم يضعها فيهِ بل اخفاها او سلمها لخادمهِ خفيةً عنكم ثم اظهرها فوق راحتكم

وهذه الاعمال من اسهل اعمال المشعوذين وهم يعملون اعمالاً اغرب منها جداً. وفي اللغات الاوربية كتب تعلّم كيفية عملها . وامهر المشعوذين لا يدَّعي الاَّ الخفةَ والمهارة

باب التقريظ والانتقاد

بحر الاداب

وضع حضرة الفاضل الاخ بلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير بمصر كتاباً نفيساً سماهُ بحر الآداب اهدى الينا القسم الاول من الجزء الخامس منهُ فالفيناهُ اسمًا على مسمى بحرًا جامعًا لما تفرَّق في كتب الادب من قواعد الانشاء وامثلتهِ حتى اذا كان فيهِ عيب فهو غزارة مادتهِ وامتزاج قواعدهِ بالامثلة الكثيرة من بليغ المنظوم والمنثور. ولا مشاحة في ان الاكثار من مطالعة نفيس الكلام وقت درس القواعد يقوي ملكة الانشاء في النفس ولكن المتعلم يود ان يرى القواعد وما يوضحها من الشواهد في كتاب وحدهُ والامثلة الكثيرة المسهبة في كتاب آخر ولكلٍّ من الطريقتين فوائد ومزايا. واليك فصلاً من هذا الكتاب موضوعهُ تمييز جيد الكلام من رديئهِ وهو

حسن الكلام هو سلاستهُ وتحسينُ لفظهِ واصابةُ معناهُ وجودة مقاطعهِ واستواء تقاسيمهِ وموافقة مآخيرهِ لمبادئهِ مع قلة ضروراتهِ بل عدمها اصلاً نظمًا كان او نثرًا. فاذا كان الكلام بهذه المثابة كان بالقبول حقيقًا وبالحفظ خليقًا كقول معن بن أوس

لعمرُك ما اهديتُ كفي لريبةٍ   ولا حملتني نحو فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها   ولا دلني طبعي عليها ولا عقلي
واعلمُ اني لم تصبني مصيبةٌ   من الدهر الَّا قد اصابت فتى قبلي
ولست بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ   من الامر لا يمشي الى مثلهِ مثلي
ولا مؤثرٍ نفسي على ذي قرابةٍ   وأُوثرُ ضيفي ما أقام على اهلي

وقول الشنفرى

أُطيل مطال الجوع حتى أُميتهُ   واضرب عنهُ القلب صفحًا فيذهلُ
ولولا اجتناب العار لم يلف مشربٌ   يعاش بهِ الَّا لديَّ ومأكلُ
ولكنَّ نفسًا مرَّةً لا تقيمني   على الضيم الَّا ريثما اتحوَّلُ

وقول النابغة

ولستَ بمستبقٍ اخًا لا تلمُّهُ   على شعثٍ ايُّ الرجال المهذَّبُ

ومن المعلوم ان الكلام اذا جمع الجزالة والسلاسة واشتمل علي الطلاوة وبعُد عن سماجة التركيب وورد على السمع المصيب استعذبهُ وعلى الفهم الثاقب قبلهُ. فان جميع حواس الجسد تسكن الى ما يوافقها وتنفر مما يضادّها فالعين تألف المليح وتقذى بالقبيح والانف يرتاح الى الطيب ويتضرّر من المنتن والفمُ يلتذ بالحلو ويمجّ المرّ واليد تنعم باللين وتتأذّى بالخشن والسمع يانس بالكلام السلس ويميل الى المألوف ويصغي الى الصواب ويهرب من الخطاء وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافي ولا يقبل الكلام المضطرب الاَّ الفهمُ المضطرب . وليس شأن التحسين في ايراد المعاني لان المعاني يعرفها العربيُّ والعجميّ والقرويّ والبدوي وانما هو في جودة اللفظ وصفائهِ وحسنهِ ونقائهِ وكثرة طلاوتهِ مع صحة السبك والتركيب والخلوّ من اوَد التأليف . وانما يطلب في المعنى ان يكون صوابًا ولا يكفي في اللفظ ذلك بل لا بدَّ ان يكون على ما وصفتهُ من النعوت المتقدمة

فلذا تأنق الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة وبالغوا في تجويد الفاظها ليدلوا على براعتهم وحذقهم في صناعتهم . ولو كان المدار على المعاني فقط لطرحوا اكثر ذلك واسقطوا عن انفسهم تعبًا طويلاً. على ان الكلام اذا كان لفظهُ عذبًا سلسًا ومعناهُ وسطًا دخل في جملة الجيد كقول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ ومسَّح بالاركان من هو ماسحُ
وشُدَّت على حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطيّ الاباطحُ

فان هذه الالفاظ رائقةٌ معجبة مع انهُ ليس تحتها كبير فائدة . ثم اعلم ان المعنى اذا كان صوابًا واللفظ باردًا كان مستهجنًا مذمومًا مردودًا . مثالهُ قول عمرو بن معديكرب

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطرِ الفارس الاَّ انا
شككتُ بالرمح سرابيلهُ والخيلُ تعدو زيمًا حولنا

وقول ابي العتاهية

مات والله سعيد بن وهبٍ رحم الله سعيد بن وهبِ
يا ابا عثمان ابكيت عيني يا ابا عثمان اوجعت قلبي

وكما انهُ لا خير في الالفاظ النافرة والتراكيب المعقَّدة كذلك لاخير في المعاني المستكرهة السخيفة . وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناهُ الاَّ بكدّ ويستفصحونهُ اذا وجدوا الفاظهُ كزَّة غليظة وخاسئة غريبة ويستحقرون الكلام السلس العذب

ولم يعلموا ان السهل امنع جانبًا واعز مطلبًا واحسن موقعًا واعذب مستمعًا. وقد وصف الفضل ابن سهل عمرَ بن مسعدة فقال هو ابلغ الناس ومن بلاغتهِ ان كل احد يظن ان يكتب مثل كتابتهِ فاذا رامها تعذّرت عليهِ. ومن الكلام المطبوع السهل ما وقّع بهِ عليّ بن عيسى وهو "قد بلّغتك اقصى طلبتك وانلتك غاية بغيتك وانت مع ذلك تستقلّ كثيري لك وتستقبح حسني فيك فانت كما قال رؤْبة

كالحوت لا يكفيهِ شيءٌ يلهمُهْ يصبح ظمآنَ وفي البحر فمُهْ"

ومن المنظوم المطمِع قول البحتري

ايها الراغب الذي طلب الجو د فأبلى كومَ المطايا وانضى
رِد حياض الامام تلقَ نوالا يسعُ الراغبين طولاً وعرضا
هو اندى من الغمام واوحى وقعاتٍ من الحسام وامضى
يتوخى الاحسان قولاً وفعلاً ويطيع الاله بسطًا وقبضا
فضّل الله جعفرًا بخلالٍ جعلت حبهُ على الناس فرضا

والجزل المختار من الكلام هو الذي تعرفهُ العامة اذا سمعتهُ ولا تستعملهُ في محاوراتهم. فمنهُ في الشعر قول مسلم بن الوليد

وردنا رواقَ الفضل فضل بن جعفرٍ فحطّ الينا الجزْلَ نائلهُ الجزلُ
بكفي ابي العباس يستمطر الغني ويستنزل النعمى ويسترهف النصلُ
ويستعطف الامر الابيّ بحزمهِ اذا الامر لم يعطفهُ نقض ولا فتلُ

وفي النثر قول يحيي بن خالد "اعطانا الدهر فاسرف ثم عطف علينا فعسف" وقول سعيد بن حميد "انا ممن لا يحاجُّك عن نفسهِ ولا يغالطك عن جرمهِ ولا يلتمس رضاك الاَّ من جهتهِ ولا يستدعي برّك الاَّ من طريقتهِ ولا يستعطفك الاَّ بالاقرار ولا يستصفحك الاَّ بالاعتذار. فقد نبت بي عنك غرّة الحداثة وردّتني اليك الحنكة وباعدتني منك الثقة بالايام فادّتني اليك الضرورة فان رأيت ان تستقبل الصنيعة بقبول العذر وتجدد النعمة باطراح الحقد فعلت فان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الاساءة وان ايام القدرة وان طالت قصيرة والمتعة بها وان كثرت قليلة" انتهى

ويقيننا ان من استظهر ما في هذا الكتاب من الامثلة وعندهُ مادّة اكتسبها من كتب العلم او من العمل سهل عليهِ التعبير عنها بافصح التراكيب ولا سيما اذا تعلّم قواعد اللغة ومرن عليها. فلمؤلفهِ الفاضل جزيل الشكر

الفونوغراف والسكورتاه

وضع حضرة العالم المحقق صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي رسالتين وجيزتين في احكام قراءة الفونوغراف واحكام السكورتاه ابان في الاولى منهما انهُ اذا رُسم كلام القرآن على اسطوانة الفونوغراف كما يرسم عليها غيرهُ من الكلام ثم اديرت فصدرت الكلمات القرآنية منها مستوفية للشروط بدون ان يكون بها خلل وقصد من رسم مخارج تلك الكلمات في الاسطوانة سماعها للعظة والتدبُّر فلا شك في الجواز وفي ان السماع عبادة . واما اذا اختلَّت حروف تلك الكلمات ولم تصدر مستوفية او قصد من رسم مخارجها او سماعها اللهو واللعب او كان في محل لا يليق قراءة القرآن فيهِ ولا سماعهُ فلا شك في منع ذلك وعدم جوازهِ

وابان في الثانية ان عقد ضمان قومبانية السكورتاه عقد التزام لما لا يلزم شرعاً بل هو فاسد شرعاً لانهُ معلَّق على خطر تارةً يقع وتارة لا يقع فهو قمار معنًى ولكن صرَّحوا في معتبرات المذاهب ان المسلم المستأمن في غير دار الاسلام يحلُّ لهُ ان يأخذ مالهم برضاهم ولو بربًا او قمار لان المحرَّم هو الغدر او الخيانة فما اخذهُ برضاهم وليس فيهِ غدر ولا خيانة يكون حلالاً وعلى ذلك يقال اما ان تكون مباشرة العقد في دار الاسلام واخذ بدل المال الهالك فيها ففي هذه الصورة لا يحل لمسلم اخذ ذلك البدل . واما ان تكون مباشرة العقد في غير دار الاسلام واخذ بدل المال الهالك في غيرها ايضاً ففي هذه الصورة يحل لهُ ما اخذهُ من البدل لانهُ انما اخذهُ برضاهم في دارهم بدون غدر ولا خيانة . واما ان تكون مباشرة العقد في غير دار الاسلام ولكن اخذ بدل المال الهالك في دار الاسلام ففي هذه الصورة لا يحلُّ اخذ ذلك البدل . واما ان تكون مباشرة العقد في دار الاسلام ولكن اخذ بدل المال الهالك في غيرها وفي هذه الصورة يحرَّم مباشرة العقد والاقدام عليهِ في دار الاسلام ومع ذلك يحل اخذ بدل المال الهالك متى كان الاخذ في غير دار الاسلام برضاهم . والحاصل ان المدار في حل اخذ بدل المال الهالك منهم على ان يكون اخذ ذلك البدل من مالهم في دارهم وبرضاهم

قاموس ابكاريوس

شهرة هذا القاموس تغني عن التعريف . وضعهُ المرحوم الخواجا يوحنا ابكاريوس وطبع منذ اكثر من عشرين عاماً . وقد نقحهُ الآن حضرة نجلهِ الدكتور يوسف ابكاريوس

واضاف اليهِ زيادات كثيرة وعني حضرة الدكتور فرنكلين هسكنس بمراجعتهِ وطبع ثالثة في المطبعة الاميركية في بيروت وثمنهُ ١٢٥ غرشًا بمعاملة بيروت . وهو من اوسع القواميس الموضوعة لتفسير الكلمات الانكليزية بالعربية وادقها ولا بدَّ من ان يزيد الاقبال عليهِ بزيادة انتشار اللغة الانكليزية في هذا القطر وسائر الاقطار العربية

مختصر البيان

في تحقيق الايمان

وضع هذا الكتاب الشيخ الجليل جرجس بن العميد الملقب بابن المكين من نوابغ الامة القبطية في القرن الثالث عشر للميلاد

كان ابن المكين عارفًا باللغة القبطية واليونانية واسع الاطلاع في اللغة العربية حسن الانشاء فيها فيلسوفًا لاهوتيًّا قوي الحجة ترهَّب في دير ابي يحنس القصير المشهور بدير البغل (وهو الآن خراب) ووضع هذا الكتاب في تفنيد اقوال المعترضين وايضاح ما اشكل فهمهُ من الآيات الكتابيَّة وقد طبعهُ الآن حضرة القمص بطرس عبد الملك خادم الكنيسة المرقصية الكبرى

ولابن المكين كتاب تاريخي لم يطبع حتى الآن ولهُ ايضًا تكملة تاريخ الطبري وحبذا لو عني حضرة طابع هذا الكتاب بطبع هذين الكتابين ايضًا

لاجل النيل

رسالة صغيرة وضعها حضرة صالح بك حمدي حماد وضمنها كتابًا بعث بهِ الى جناب السر وليم ولككس اجابةً لما اقترحهُ من طلب المعلومات التي يعلمها المصريون عن فيضان النيل ورسالتين نشترا في المقطم في هذا الموضوع وسنأْتي على بعض ما نشر فيها في جزء تالٍ

ترجمة الشيخ عبد القادر الرافعي

الشيخ عبد القادر الرافعي مفتي الديار المصريَّة بعد الشيخ محمد عبده تولَّى منصب الافتاء ثلاثة ايام واستاثرت بهِ رحمة ربهِ . وقد ترجمهُ ولدهُ الاستاذ الفاضل الشيخ محمد رشيد الرافعي وذكر تاريخ بيتهِ واخلاقهُ ومؤَلفاتهِ واقوال الجرائد فيهِ من عربيَّة وغير عربية

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٢	٦	٢ صباحًا
البدر	٩	٨	١٢ "
الربع الاخير	١٥	١٠	٣٧ مساء
الهلال	٢٣	٦	٧ "

السيارات

يصير عطارد نجم الصباح في اواخر الشهر

والزهرة نجم المساء ولكنها تظهر وقتًا قصيرًا

والمريخ يرى الى حد الساعة الثامنة

والمشتري يبقى ظاهرًا من ساعتين الى ثلاث بعد الغروب

وزحل نجم الصباح الشهر كلهُ

السفر بالاتوموبيل الى القطب الجنوبي

في نية المسيو هنريك ارتوسكي ان يسافر الى القطب الجنوبي بالاتوموبيل فيصل بسفينة الى طرف بحر روس حيث العرض ٧٨ درجة ويبقى بينهُ و بين القطب الجنوبي ١٢٩٦ كيلومترًا يقطعها بالاتوموبيل على الجليد بعد ان يقسمها الى ثلاث مراحل

الاتوموبيل المسلَّح

لما صُنع الاتوموبيل قال كل احد انهُ سيقوم مقام مركبات الخيل والبغال على انواعها فكان كذلك ولم يقل احد انهُ سيقوم مقام الخيل في الحرب و يفوقها من كل وجه . ولكن يظهر من التجارب التي جُرّبت في بلاد النمسا وفي بلاد فرنسا انهُ قد صُنع الآن اتوموبيل مسلح مدرَّع يسير في كل الطرق والاراضي سواء كانت سهلاً او جبلاً وفيهِ مدفع من المدافع السريعة الطلقات موضوع في برج دوَّار في اعلاهُ يدور الى كل الجهات و يسدَّد الى الغرض اينما كان . وجسم الاتوموبيل نفسهُ مدرَّع بطبقة رقيقة من الفولاذ (الصلب) ولكنها متينة جدًّا لا يخرقها رصاص البنادق الَّا على نحو ثمانين قدمًا ولا يؤثر فيها اذا كان البعد ثلثمئة قدم . وإطار عجلهِ مجهز بمادة خاصَّة تسدُّهُ حالاً اذا خرقهُ الرصاص حتى اذا خرقتهُ عشر رصاصات بقي الاتوموبيل قادرًا على السير عشرين دقيقة فيبعد عن العدو و يُصلح . وهو يدار من الداخل وفيهِ

من الغازولين ما يكفيهِ لسير اربعمئة ميل وفيهِ عشرة آلاف قنبلة لمدفعهِ فاذا هاجم فرقة من الجيش افناها في دقائق قليلة وهو بعيد عنها حتى لا يؤثر رصاصها فيهِ واذا فاجأتهُ مفاجأة ودنت منهُ ولم يستطع مقاومتها هرب من وجهها وابعد عنها لانهُ اسرع من الفرسان جدًّا

ويقال ان الاتوموبيل النمسوي والفرنسوي جُرّبا فوفيا بالغرض وان روسيا اوصت معملاً في فرنسا على كل الاتوموبيلات المسلحة المدرعة التي يستطيع ان يصنعها لها

شيوع الاتوموبيل

لقد شاع استعمال الاتوموبل جدًّا ولكنهُ لم يقم حتى الآن مقام مركبات الخيل والبغال في كل مكان لان المعامل التي تصنعهُ لا تستطيع ان تصنع كل ما يطلب منها فقد صنعت معامل اميركا في العام الماضي ٢٧٨٤٠ اتوموبيلاً بلغ ثمنها كلها ٩٥٥٣٧٢٠ جنيهاً فبيع منها ٢٢٩٧٠ اتوموبيلاً في اميركا نفسها و ١٠٣٦ في البلدان الخارجية

التلغراف الاثيري

خطب الكونت اركو في المدرسة الحربيَّة ببرلين في فوائد التلغراف الاثيري اي الذي لا سلك لهُ فابان انهُ صار في الامكان الآن نقل الاشارات بهِ من مكان الى آخر ولا تؤثر اشاراتهُ في غير المكان المرسلة اليهِ . وان فوائدهُ الحربيَّة ظهرت في حرب الروس واليابان وثورة الهريرو . وفوائدهُ التجارية تظهر حيث يتعذَّر مد الاسلاك كما في الغابات الملتفة وبين الجزائر وحيث يعتصب الناس او يثورون ويقطعون الاسلاك التلغرافية

نصائح للمحامين

خطب اكبر محامٍ في اميركا خطبة نفيسة على اخوانهِ المحامين ونصح للشبان منهم النصائح التالية قال

واظبوا على صناعتكم وارفعوا مقامها ولا تطلبوا بها الغنى فتصير تجارةً . اعتدلوا في اجوركم . ساعدوا المسكين بنصائحكم ومشوراتكم . واعلموا ان المحامي يشتغل كثيرًا ويعيش كريمًا ويموت فقيرًا فاذا اردتم ان تدَّخروا للشيخوخة فالزموا الاقتصاد واقتنوا ملكاً في مدينة آخذة في النمو ولو التزمتم ان تستدينوا بعض ثمنهِ وترهنوهُ فان اجرتهُ تزيد بنمو المدينة فيكون ذخرًا لكم في الشيخوخة . لا تضاربوا ولا تحجموا عن عمل الاحسان واعكفوا على درس الشريعة والتاريخ في كل اوقات الفراغ واظهروا ثمار درسكم في مجالس القضاء . وابعدوا عن السياسة وعن التشيع لفئة من الناس واذا اكرمكم الحكام فكونوا مستحقين لاكرامهم

واذا لم يكرموكم فلا تفشلوا فان في السماء مَن اذا قال لكم " نعمّا ايها العبد الصالح " فقولهُ اشرف من كل القاب الشرف والمجد من كل امجاد العالم

ادراك الحيوان الاعجم

ألَّف الاب وسمن كتابًا حاول ان يثبت فيهِ ان افعال الحيوان الاعجم التي تظهر فيها آثار العقل انما هي افعال غريزيَّة لا عقل فيها فكتب بعضهم الى جريدة ناشر ينتقدهُ ويقول انهُ شاهد افعال بعض الجعلان في روسيا وهي تدلُّ دلالة واضحة على ان فيها شيئًا من التعقل من ذلك انهُ رأى جعلاً يدحرج دحروجتهُ برجليهِ يدفعها الى الوراء دفعًا كعادة الجعلان . وبينما هو سائر بها على هذه الصورة اتى جعل آخر ووقف وراء الدحروجة وحاول دفعها برجليهِ فوقفت بينهما لا تتحرك لتساوي القوتين على الجانبين. ولما رأى الجعل الاول انهُ يدفع الدحروجة فلا تندفع وقف وجعل ينظر اليها ويتفحصها ثم عاد يدفعها فلم تندفع فوضع رأسهُ تحتها وحاول دفعها كما يدفع العامل الحجر بالمخل فلم تندفع فدار حولها ورأى الجعل الآخر فهجم عليهِ فهرب هذا من وجههِ وجدَّ الاول في اثرهِ ولما لم يدركهُ تركهُ وعاد الى الدحروجة ودفعها فاندفعت ويستحيل ان يراهُ احد يفعل تلك الافعال ولا يقول انهُ كان يفعلها بعقل وروية كما يفعلها الانسان وذكر امثلة اخرى

الربح من اصباغ الفحم

ان اكثر الاصباغ المستعملة اليوم يستخرج من قطران الفحم الحجري على اسلوب استنبطهُ الانكليز واستفاد منهُ الالمان . فان الالمانيين اخذوا الامتياز بعمل هذه الاصباغ وألَّفوا لذلك شركتين كبيرتين راس مالهما خمسون مليون جنيه ويبلغ الربح السنوي الذي توزعانهِ من عشرين في المئة الى ثلاثين في المئة

دار الزراعة الدولية

وافقت اكثر بلدان الارض في انشاء دار للزراعة في ايطاليا تكون كمدرسة لها . ومن البلدان التي امضت هذا الاتفاق ايطاليا وروسيا والسرب والبلغار والبرتغال والمكسيك وسويسرا وايران واليابان وبلجكا واسبانيا وفرنسا والدنمارك واليونان واسوج وهولندا والمانيا والنمسا وبريطانيا ومصر والولايات المتحدة الاميركية وكوبا . وقد تبرَّع ملك ايطاليا بالنفقات اللازمة لبناء هذه الدار واتمامها سنة ١٩٠٧

هبة علمية

وهب المستر الفرد بيت مدينة همبرج مئة الف جنيه لتنشئ بها مدرسة جامعة

مجلة الشتاء

ارانا حضرة العالم الفاضل والمنشيء اللوذعي سليم بك عنحوري صاحب مجلَّة الشتاء مقالة مسهبة موضوعها "البدو في القرن العشرين" نشرها في الجزء السادس الذي سيصدر في آخر هذا الشهر وضمَّنها خلاصة ما عرفهُ بالخُبر والخبر من احوال البدو واطوارهم ووصف هيئتهم الاجتماعية بنوع عام . وهي مثل حفلة السلاملك التي صدرت في الجزء السابق ومثل كل ما يكتبهُ في حسن الوصف والرصف فنوجه انظار القراء اليها . وستختم سنة المجلة الاولى بهذا الجزء

سكان السلطنة الانكليزية

٣٠٠ مليون في اسيا
٤٣ مليونًا في افريقية
٤٢ مليونًا في اوربا
٧ ١/٢ ملايين في اميركا
٥ ملايين في استراليا

وهم مقسومون حسب اديانهم هكذا

٢٠٨ ملايين هنود براهمة
٩٤ مليونًا مسلمون
٥٨ مليونًا مسيحيون
١٢ مليونًا بوذيون
٢٧ مليونًا وثنيون من اديان مختلفة

نازلة مناجم كورير

مناجم كورير يستخرج منها الفحم الحجري في ولاية بادكاله بفرنسا فيها نحو سبعة آلاف عامل واربعة واربعون عرقًا من عروق الفحم يستخرج منها في السنة نحو مليوني طن . وكانت موصوفة بحسن ادارتها حتى انهُ لم يكن يقتل من المعدنين فيها رجل واحد كل سنة مع ان الرجال الذين يستخرجون الفحم الحجري في بلاد الانكليز لا يستخرجون مليوني طن من الفحم حتى يقتل منهم اكثر من اربعة رجال بسقوط الحجارة عليهم من سقف المنجم . لكن نزلت بمناجم كورير في الشهر الماضي نازلة لا مثيل لها فاشتعل الغاز الذي فيها وقتل اكثر من الف ومئة نفس من المعدّنين

القانون ترسترام

خسر رجال الدين ورجال العلم خسارة لا تعوَّض بوفاة العالم المحقق واللاهوتي الورع القانون ترسترام الرحالة الطبيعي الشهير صاحب التآليف الكثيرة . ولد سنة ١٨٢٢ ودرس في مدرسة اكسفرد الجامعة وساح في صحراء افريقية سنة ١٨٥٦ وفي سورية ومصر سنة ١٨٥٨ ثم عاد الى فلسطين سنة ١٨٦٣ و١٨٧٢ و ١٨٨١ ولقيناهُ حينئذٍ في بيروت فساعد المقتطف بكتبهِ وصورها

وساح في بلاد الارمن والعراق العربي ثم ساح في الصين واليابان وغربي اميركا ووصف هذه البلدان في كتبهِ

وهو اول من استخدم رأي الانتخاب الطبيعي في علم الحيوان في مقالة نشرها سنة ١٨٥٩ قبلما نشر كتاب دارون في اصل الانواع لكنهُ بنى كلامهُ على المقالة التي قدمها دارون وولس الى جمعية لينيوس الطبيعية في اول يوليو سنة ١٨٥٨

ومن كتبهِ الكثيرة(١) كتاب الصحراء (٢) بلاد اسرائيل (٣) حيوانات التوراة ونباتاتها (٤) مشاهد المشرق (٥) نبات سورية (٦) المنائر الذهبية السبع (٧) تخطيط فلسطين (٨) ارض مواب (٩) مسالك فلسطين (١٠) حيوانات فلسطين ونباتاتها (١١) عادات بلاد التوراة (١٢) اسفار في اليابان . ولهُ عدا ذلك مقالات كثيرة في المجلات العلمية والقواميس العمومية . وكانت وفاتهُ في الثامن من شهر مارس الماضي

السمنت

يزيد استعمال السمنت في البناء زيادة عظيمة سنة فسنة فقد قدَّر بعضهم انهُ استُعمل منهُ سنة ١٩٠٠ ما ثمنهُ نحو ٢٢ مليون ريال وسنة ١٩٠٣ ما ثمنهُ نحو ٤٦ مليون ريال . والزيادة مطَّردة واكثر انواع السمنت استعمالاً سمنت برتلند

الفحم الحجري

بلغ ما استُخرج من الفحم الحجري في البلاد الانكليزية في العام الماضي ٢٣٦ ١١١ ١٥٠ طنًّا فزاد عمَّا استُخرج في العام الذي قبلهُ ٣ ٦٩٩ ٣٦٦ طنًّا

اقلام الرصاص

اقلام الرصاص والاصح ان يقال اقلام البلمباجين يصنع كثير منها في نوبرج بالمانيا فان لها فيها اربعون معملاً تصنع في السنة ٣٥٠ مليون قلم يبلغ ثمنها اكثر من نصف مليون جنيه

طفل مدى الحياة

توفي بالامس طفل عمرهُ ست واربعون سنة فانهُ لما صار عمرهُ سنة توقف نموهُ جسدًا وعقلاً وبقي هذه السنين كلها يأكل ويشرب ويلبس مثل طفل عمرهُ سنة

الانكليز والمسكرات

شرب الانكليز من المسكرات في العام الماضي ما ثمنهُ ١٦٤ ١٦٧ ٩٤١ جنيهاً . وهذه الجنيهات تزن ١٢٨٥ طنًّا ولو اريد نقلها بسكة الحديد للزم لها ٢١٠ مركبات كبيرة من مركبات سكة الحديد

الاوربيون والطاعون

امات الطاعون نحو ربع مليون في ولاية بمباي في العام الماضي ولم يكن بينهم من الاوربيين سوى عشرة

فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والثلاثين

٢٨١ الاستاذ لنغلي (مصوَّرة)
٢٨٣ مستقبل اوربا
٢٨٧ التقليد بين الحيوانات (مصوَّرة)
٢٨١ الاحتضارات والقبريَّات . للاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف
٢٨٧ امثال انكليزيَّة . للدكتور يوحنا ورتبات
٢٩٢ ايضاحات لغويَّة . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٢٩٩ رأس المال والربا . لنقولا افندي حداد
٣٠٢ الكاهن والملك في مشهد التاريخ . لمباحث عصري
٣٠٩ تاريخ الجزار
٣٢٢ الفنتريلكوست اي المتكلم من بطنهِ
٣٢٦ التنويم والاستهواء
٣٣١ اكتشاف مصري عظيم
٣٣٢ الخطة المثلى . لشاكر افندي نعمة الله سلوم
٣٣٤ الشعر والشعراء . لنقولا افندي رزق الله

٣٣٦ باب تدبير المنزل * الفتاة . فوائد منزلية . تقايل السمن . لعب الاطفال . المواء النقي والماء
النقي . الحذاء الضيق . قنينة العطر . تنظيف الكفوف . خداع الاولاد
٣٤٢ باب الزراعة * لجنة الجمعية الزراعية . انواع القطن
٣٤٧ باب المراسلة والمناظرة * غرائب الشعوذة
٣٥٠ باب التقريظ والانتقاد * بحر الآداب . الفونوغراف والسكورتاه . قاموس ابكاريوس
مختصر البيان . لاجل النيل . ترجمة الشيخ عبد القادر الرافعي
٣٥٥ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢١ نبذة
رواية امير لبنان ملحقة بالمقتطف

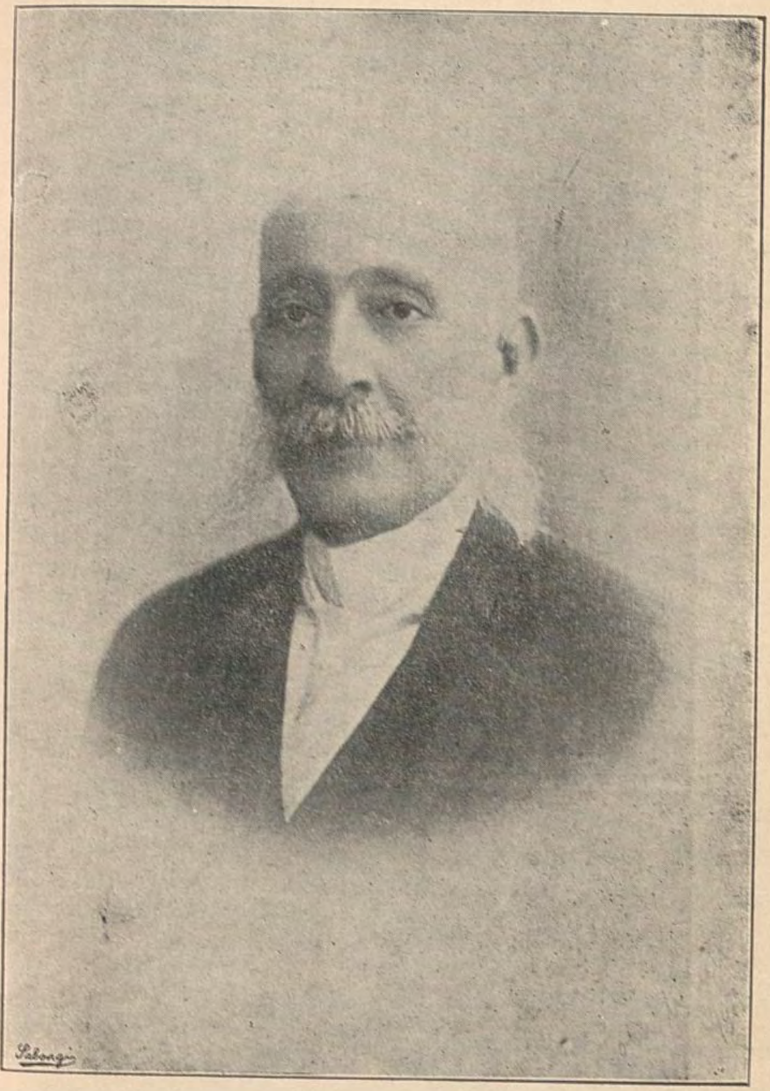

فيلكس سوارس